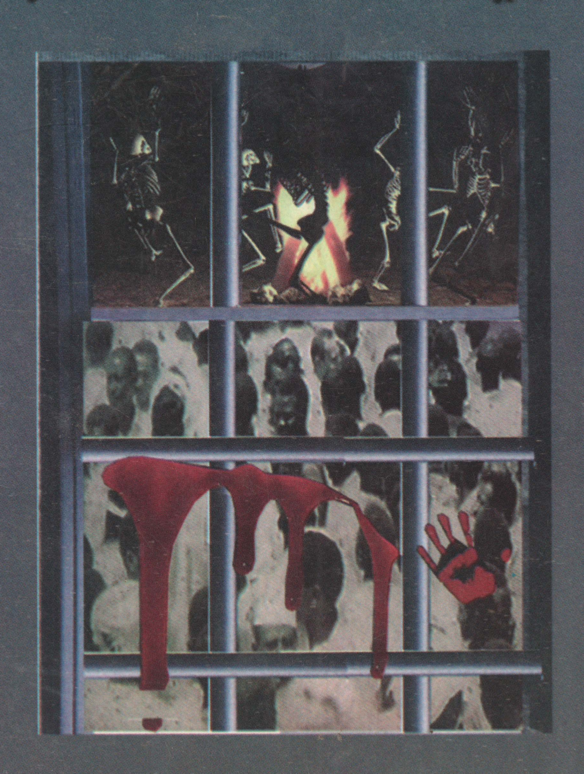
عنبر جودة

عنبر جودة

وعشرين دستة من البشر



حسن العبيد مدنى



هذا الكتاب

نفيد هنا بأن تخليد لذكرى شهداء جودة قد بدأ لأول مرة بعد أن فرغنا من 1967 بمدينة كوستي والتحضير له بنهاية عام م.ففي ذلك العام 1964 الاحتفال بثورة اكتوبر السودانية في عام جاءت الفكرة والمبادرة من إتحاد نقابات عمال السودان فرع كوستي ومن ثم تبناها المجلس العام للنقابات الذي كان يضم الاتحادات العامة للعمال والموظفين والمهنيين واتحاد المعلمين.وهذا وقد كانت المبادرة الأولى في تأسيس المجلس العام للنقابات للاتحادات الفرعية بكوستي حسب افادات مناديب المجلس العام للنقابات بالخرطوم الذين حضروا للاشراف على تكوين المجلس العام للنقابات فرع كوستي هذا وقد كان من خطوات المجلس العام للنقابات أن رحب على الفور بطلب اتحاد مزارعي النيل الأبيض للأنضمام للمجلس العام للنقابات.







عنبرجودة

عشرين دستة من البشر

عبد جودة

عشرين دستة من البشر

تاليف

حسن العبيد مدنى

الشركة العالمية للطباعة والنشر

عنبر جوده ((عشرين دستة من البشر))

تأليف: حسن العبيد مدني

الناشر: الشركة العالمية للطباعة والنشر

المدير العام: الشيخ عووضة

إعداد بالكمبيوتر: إيمان محجوب

تصميم الغلاف: كريم سامى الإكيابى

رقم الإيداع: ١٣٢٧٠/٢٠٠٧

سنة الطبع: ٢٠٠٨

الطبعة الأولى

إدارة المبيعات: ٠١٠١٢١٩٣٩٤ – ٠١٠٣٦٥٤٣٢٦

تليفاكس: ٦٩٨٩٥١٨

البريد الألكترونى:

Email:elshekh١٤٦@yahoo.com

Email: elshekh٤٦@yahoo.com

حول الاحتفال بذكرى شهداء جوده

في الذكرى السابعة والاربعين (١٩ فبراير ١٩٥٦م – ١٩ فبراير ٢٠٠٣م)

مشروع جوده الزراعي الذى يقع على بعد حوالى ٥٥ كيلو جنوب مدينة كوستى وحيث تجمعت بداية خيوط المأساة كان يتبع لشركة عبد المنعم محمد الزراعية.

فمع بزوغ شمس الاستقلال ولما يمر على إعلانه أكثر من شهرين وتحديداً في ١٩ فبراير ١٩٥٦م وقعت المأساة الدامية والتى يطلق عليها (مأساة شهداء عنبر جوده) وذلك في صدام دموي غير متكافئ بين رجال البوليس والمزارعين العزل والذين سقط منهم في المعركة أكثر من مئتى شهيد بنهاية حصر الجثث كما سنرى من سياق ما يرد من أحداث دامية تتحدث عنها الوثائق الرسمية والمعتمدة والمراجعة بدقة بهذا الملف، وكذلك أكثر شهود العيان والتى نقدمها جميعها من خلال الصحيفة الوطنية الرائدة، صحيفة الايام المشهود لها بمواقفها الوطنية الشجاعة والجريئة مع العدل والحق – متى ما كان أبلجأ – وقد كان لصحيفة الأيام قدح السبق في الوصول إلى مكان الحدث ومسرحه من خلال مراسلها ومن خلال رئيس تحريرها وقتذاك

المرحوم طيب الذكر بشير محمد سعيد الذى هب فوراً وتحـرك إلـى مدينة كوستى ... شاهد بعينيه، وسمع بأذنيه، وانفعل بوجدان وضمير الصحفى الغيور والجسور الذى تشده وتحركه مأساة الانسان في كـل مكان .... فماذا قال المرحوم بشير محمد سعيد وماذا سـجل بيراعـه الذى لا يعرف التردد ولا يعرف الخوف والخور، ولا ينحنـي ذلـيلاً لعطاء أو منحه رشوه معلومة ومختومة مقابـل الـسكوت والإذعـان وتجميل كل باطل في بلاط السلطان ومن أى كائن كان ... إلا سلطان الحق عالى الشأن ...

أيضاً نقرأ رسائل مراسل الأيام الشجاع والجسور فـي ذلـك الوقت الأخ الرشيد بحيرى، ينفعل بكل خلجاته مع المأسـاة والحـدث الأليم ويرسل أول رسائله عبر أسلاك البرق أول بأول إلى الصحيفة.

ينفعل أيضاً بكل وجدانه وأحاسيسه المرهفه الـشاعر الفحـل صلاح أحمد إبراهيم ويسجل في تلك المناسبة الأليمة رائعتـه الخالـدة (عشرون دسته من البشر) ننشرها كاملة غير منقوصه في أخر الملف.

كذلك نطلع على القصيده الفريدة للشاعر الفذ إبـراهيم خيـر بعنوان (الفلاته والبرقو .. أجل ماتوا) هذه القصيدة نشرت كاملة فـي ذاك الوقت بجريدة الصراحة تباعاً بالعـدد (٦٥٦) تـاريخ ٣ أبريـل ١٩٥٦م.

نختتم أيضاً الملف بلقاء مجدد مع الأعمام الأعزاء شيخ العبيد عامر محمد على رئيس اتحاد مزارعى النيـل الأبـيض منـذ العـام

١٩٥٣م عام التأسيس وحتى عام ١٩٧١. وقد عاش كل أحداث المنطقة ومازال في قلبها – متعة الله بالصحة والعافية، وكذلك كان لقاؤنا مع العم العزيز أحمد محمد إبراهيم سكرتير اتحاد مزارعى النيل الأبيض منذ بدايات تكوينه، وكان في ذلك التاريخ – تاريخ الأحداث – في قلب المعركة وشهد كل الممارسات البشعة لرجال البوليس وكان وسام الشرف الذى ناله في تلك المعركة أربعة طلقات من الرصاص . استقرت في أجزاء مختلفة من جسده كادت ان تؤدى بحياته لولا العناية الإلهية وعمر مؤجل إلى حين.

نفيد هنا بأن أول تخليد لذكرى شهداء جودة قد بدأ لأول مرة بمدينة كوستى والتحضير له بنهاية عام ١٩٦٧ بعد أن فرغنا من الاحتفال بثورة اكتوبر السودانية فى عام ١٩٦٤م، ففى ذاك العام جاءت الفكرة والمبادرة من اتحاد نقابات عمال السودان فرع كوستى ومن ثم تبناها المجلس العام للنقابات الذى كان يضم الاتحادات العامة للعمال والموظفين والمهنيين واتحاد المعلمين. هذا وقد كانت المبادرة الأولى في تأسيس المجلس العام للنقابات للاتحادات الفرعية بكوستى حسب افادات مناديب المجلس العام للنقابات بالخرطوم الذين حضروا للاشراف على تكوين المجلس العام للنقابات فرع كوستى هذا وقد كان من خطوات المجلس العام للنقابات أن رحب على الفور بطلب اتحاد مزارعى النيل الأبيض للانضمام للمجلس العام للنقابات .. وقد كانت خطوة للأمام لتجميع وتوحيد (قوى الثقافة والعمل) لخطوات قادمات

من أجل القضايا والمشاكل والهموم العامة. بداية هذه الخطوة العملية نحو الوحدة هى التنادى لفتح ملف شهداء جودة والاحتفاء بذكراهم الخالدة وكذلك الاحتفاء والوقوف عند قرارات الاصلاح بمشاريع النيل الأبيض التى اعلنها السيد الصادق المهدى عندما كان رئيساً للوزراء ... وماذا تحقق فيها من مكاسب للمزارعين وما هى سلبياتها التى تتطلب إعادة نظر.

بدأت التحضيرات للاحتفاء بالمناسبة بدعوة من اللجنة العامة المنبثقه من المجلس العام لكل المنظمات الديمقراطية والروابط الفنية والقبلية والغرفة التجارية، هذا وقد لبت تلك المنظمات الدعوة على الفور وأرسلوا مناديبهم للاجتماع. كانت المنظمات التى وجهت لها الدعوة هى:

١/ الاتحاد النسائى السودانى فرع كوستى.

٢/ اتحاد الشباب السودانى.

٣/ اتحاد الكتاب والأدباء.

٤/ اتحاد الفنانين.

٥/ الغرفة التجارية.

٦/ جميع الروابط القبلية بكوستى.

كونت لجنة عليا من هذه المنظمات: مندوبين من كل اتحاد ومنظمة ورابطة قبلية بالتساوى دون تغليب أي فئة أو منظمة على أخرى ولأن المناسبة وطنية وقومية لذكرى عزيزة مغروسة عميقاً في

وجدان كل الشرفاء من أبناء وبنات شعبنا العظيم. انبثقت ايضاً اللجان التحضيرية من اللجنة العليا والتى كان لى الشرف العظيم ان يتم اختيارى مقرراً لها ليس لذاتي لكن بحكم وضعى كسكرتير للمجلس العام للنقابات ولاتحاد نقابات عمال السودان فرع كوستى في ذلك الوقت وهكذا اراد واختار الحضور لادارة دفة العمل الجماعى لهذه المناسبة العظيمة.

كانت اللجان التحضيرية التى قررتها اللجنة العليا في اول اجتماع لها – وحسب خبرات الحضور المشرفة والتى ساهمت في التحضير لكثير من مناسباتنا القومية بالمدينة – فقد تكونت اللجان التحضيرية على النحو التالى:

(أ) لجنة اعداد وجمع الوثائق من المنطقة ومن دار الوثائق ودور الصحف ولقاءات مع رموز شاركت في الاحداث أو شهود عيان موثوق بافاداتهم ومازالوا على قيد الحياة.

(ب) لجنة الاتصالات.

(ج) اللجنة المالية.

(د) لجنة الضيافة للمدعوين من خارج المدينة.

(هـ) لجنة المسرح وتنظيم الميدان.

هذا وقد بدأ التحضير والاعداد للاحتفاء بهذه الذكرى الخالدة منذ نهاية عام ١٩٦٧ كما اسلفت ولكن كثيراً من الاحداث العامة

والمتعلقة بوضع الاتحادات الفرعية وبعض المنظمات الديمقراطية المشاركة وحتى اتحاد المزارعين نفسه – كانت تلك تؤجل المناسبة من حين إلى آخر، من تلك الاحداث مثلاً الاضراب العام للعمال في ٢٠ اغسطس ١٩٦٨م. كما كانت الاجواء في ذلك الوقت مشحونة بالتوتر والتحفز والتحدى والترقب من جانب الحكومة ومن جانب النقابات وكانت الاستدعاءات المتواترة من قبل جهاز البوليس للقادة النقابيين وقادة المزارعين والاحتجاز لساعات طويلة بمراكز البوليس واجترار وتكرار لأسئلة عقيمة وغبية، كانت تلك الفترة لا تخلو من تحركات هنا وهناك وشد وجذب وتهديدات متبادلة ومواجهات تصل لدرجة السفور انفجر على أثرها انقلاب مايو ١٩٦٩م والذى قلب الطاولة فوق رؤوس الجميع، وليتحول (بصاصين الأمس) إلى ثوريين من الطراز الأول! .. انقلاب مايو عطل إلى حين ايضاً الكثير بما فيه التحضير لهذه الذكرى العظيمة حتى فبراير ١٩٧٠م.

فاللحقيقة والتاريخ – وحتى لا نغبط الناس اشياءهم ونلغى كل ادوارهم العامة في الحياة مهما وصلت درجة خلافاتنا معهم للحد الذى اصبح بيننا وبينهم نهر من الدماء لم يجف بعد، وقصاص لم يحسم ولم يبت فيه بعد، إلا أننا نسجل هنا بأن رئيس انقلاب مايو جعفر نميرى وبعض من اعضاء مجلسه قد لبوا الدعوة التى وجهت لهم من قبل اللجنة التحضيرية العليا لشهداء جودة وشاركوا في ليلة الاحتفاء الكبرى بميدان الحرية بكوستى .. تلك الليلة التى هزت اركان الدنيا

حتى مصانع النسيج في مانشستر ويوركشير وسليزيا! حيث كانت تعصر دماء مزارعينا المنتجة قطناً لمصلحة شبه الاقطاع والمستعمرين أولاً .. وقد أعلن جعفر نميرى في تلك الليلة رد الاعتبار لمزارعى جودة بإعلان سياسة للاصلاح الزراعي وقيام مؤسسة النيل الأبيض الزراعية ومشاركة اتحاد مزارعى النيل الأبيض في مجلس إدارتها. ورغم قصور تلك القرارات في كثير من جوانبها والتى لا تلبى كل تطلعات المزارعين، إلا أن المزارعين ومن خلفهم كل القوى الديمقراطية والتقدمية احتفلوا بها واعتبروها خطوة للأمام يتمسك المزارعون بالمكاسب التى أحرزت ويشددوا النضال لإحراز المزيد من المكاسب. لنعمل خطوتان أخريان للامام إلا أن نميرى ونظامه سرعان ما تراجعوا – كعادتهم عن تلك القرارات وبدأوا بعد يوليو ١٩٧١ في مغازلة شبة الاقطاع (وخصخصة) المشاريع، اى العودة لعهد المشاريع الخاصة وتمليك المشاريع لأصحابها او اعادتها لهم بتشريعات وقوانين جديدة ؟

في اليوم التالى، وبعد الافطار تحرك الموكب الجماهيرى الحاشد صوب مقابر شهداء عنبر جودة يتقدمه قادة اتحاد المزارعين من كل انحاء السودان الرجال الرائعون الجميلون شيوخنا الأماجد: الأمين محمد الأمين رئيس اتحاد مزارعى الجزيرة والمناقل، الشيخ محمد الخير احمد رئيس اتحاد مزارعى النيل الأزرق، الشيخ الحاج ناي لاي رئيس اتحاد مزارعى دلتا القاش وأروما وكسلا، الشيخ العبيد

عامر محمد على رئيس أتحاد مزارعي النيل الأبيض، الشيخ إسماعيل عساكر رئيس أتحاد مزارعى جودة، مناديب اتحاد مزارعى جبال النوبة برئاسة أحمد مالك إلى جانب ممثلى اتحادات نقابات العمال والموظفين والمهنيين والمعلمين: المرحوم عوض الله إبراهيم رئيس اتحاد عمال السودان وحسن أبو جبل وحسن قسم السيد وعن الحزب الشيوعى المرحوم مكي عبد القادر مكي وإبراهيم حاج عمر وعن تجمع الكتاب والفنانين السودانيين: عبد الله على إبراهيم وعبد الله جلاب والمجموعة الرائعة من شباب (أباداماك) ومعهم شباب كوستى الذين قدموا مسرحية (عنبر جودة) في (اسكتشات) رائعة أعجبت كل الحضور وأظن أن المسرحية كانت من تأليف الأستاذ عبد الله إبراهيم. وقد بادر ذاك الشباب والأديب الرائع عبد الله جلاب بالإشراف على السيناريو والإخراج بصورة رائعة .. لا يفوتنا إلا أن نذكر المشاركة الجميلة للإخوات العزيزات من الاتحاد النسائي السودانى بالخرطوم: نور محمد عثمان ورفيقاتها أطال الله أعمارهن. بوصول الركب إلى تلك البقعة الجرداء النائية حيث دفنوا في (حفر) وليس مقابر شرعية ولم يكفنوا ودون أى إجراءات شرعية لدفن الموتي وبأسمالهم تلك التى كانوا عليها .. قبروهم هكذا كل عشرة في تربة بشهادة شهود العيان الأحياء إلى يومنا هذا (ماتوا تلك الميتة البشعة وتلك الدفنة المهينة وكأنهم التقوا على غير موعد بأولئك السودانيين العظام الشجعان الذين قاوموا صلف الحكم التركي (التركية السابقة) عندما فرضوا عليهم

(الدقنية) عشرة قروش لكل رقبة فرفعوا شعار المقاومة الباسلة في ذاك الزمان (عشرة في تربة ولا ريال في طلبة)..

بعد وصول الموكب المهيب إلى مكان المقبرة الجماعية على الأصح قرأت الفاتحة على أرواحهم وتقرر أن يكون فى المكان نصب تذكاري يرمز لهؤلاء الشهداء ولوحة شرف تحمل أسماؤهم أو ما يتحصل عليه من أسماء ما أمكن ذلك.

تعريف: مشروع جودة الزراعى يشمل كل المنطقة الرئيسية التى تقطن بها أكثر القبائل في المنطقة وهى قبيلة (نزي) بالجزيرة (بلل) وعند قيام المشروع تحول الاسم إلى جودة نسبة إلى أحد الأولياء من أصحاب الكرامات المدفون هناك واسمه جودة والعهدة على الراوي ...

وفى مطلع العام ١٩٨٦م بعد الانتفاضة مباشرة نهض بعض من شباب كوستى النشطاء والمبادرين من الرفاق والاصدقاء الاعزاء ومواطنى كوستى الاوفياء للاحتفاء بهذه الذكرى الخالدة، وتنادوا جميعاً إلى نادى الخريجين بكوستى لإحياء الذكرى وكان في مقدمتهم على سبيل المثال لا الحصر: مولانا القاضى الفذ المستقيم محمد المصطفى حمد ابن كوستى البار والمرحوم السر أحمد البشير ورهط لا يعد من الأوفياء المخلصين الميامين لوطنهم ولشعبهم فماذا قالت ديباجة احتفالهم في مطلع عام ١٩٨٦م في الاحتفاء الثاني بذكرى شهداء جودة؟ قالوا والقول ما قال الفحول ..

(لأن المأساة هزتنا وهكذا .. وهكذا تنادينا نحن شباب الأجيال اللاحقة عندما سمعنا عن المأساة وقرأنا اليسير جداً من أحداثها وحقائقها التى شكلت واحدة من مآسى الوطن الكبرى .. تنادينا ومعنا جيل البطولات والتضحيات من الرجال الأفذاذ الجميلين في هذا الوطن تنادينا جميعاً للاحتفاء بهذه الذكرى التى هزت حتى القلوب التى بها أكنة .. ولأن المأساة تختلج في الصدور وتهز الجوانح كلما وقع البصر على نفر من تلك البقاع من حلفائنا المزارعين فيرتد إليها البصر خاشعاً وهو حسير .. حسير، تنادينا جميعاً بعد الانتفاضة الباسلة في فبراير ١٩٨٦م وبعد ثلاثين عاماً من تلك المذبحة الهمجية والتى فاقت في بشاعتها مذبحة ميدان (هاي ماركت) بشيكاغو عندما حصد رصاص السلطة العمال الأمريكان العزل وهم يخرجون في تظاهرة سلمية للاحتفاء بعيد العمال. وقد كان ذلك الاحتفال بذكرى شهداء جودة ممكناً لأن شعبنا أراد ذلك وصرح به بلا تحفظ. نحتفل اليوم في فبراير ١٩٨٦م، لأن تعتيماً قد ضرب سياجه حول هذه الملحمة البطولية حيث شارك الكثيرون في ضرب هذه الطبقة المعطاءة، ولم يورثهم ذلك إلا عاراً وخسة .. ولازالوا يحاولون نسيانها وشطبها من سجلات التاريخ بالمزيد من التعتيم، نعم تنادينا نحن أبناء الأجيال اللاحقة التي لم يكن لنا شرف معايشتها إبرازاً لجوانبها الأليمة وعكساً لأحداثها ومسبباتها، والتى كانت أول معركة طبقية سافرة بين الإقطاع والزراع في تاريخ هذا الوطن .. فضحاً لأساليب الطبقة المسيطرة اقتصادياً على مقدرات الزراع .. وكانت

هنا، ثورة عبيد الأرض في مواجهة سادتهم .. احتفينا بها وسنحتفى بها سنوياً بعد أن وعينا أهدافها ومراميها وطموحاتها المتواضعة جداً .. ذلك، لأن الاحتفاء بهذه الذكرى حق وفرض عين علينا ولا خير فينا إن لم نقم به نسجل أحداثها وننقب عن وثائقها في كل الأضابير وفى عقول الشرفاء الذين عايشوها لحظة بلحظة ليقرأها الجميع تذكرة لمن عايشوها وتوضيحاً وكشفاً لعلم ومعرفة من ولدوا بعدها من الأجيال .. تكريماً لأبطالها الأموات منهم والأحياء. ونحن إذ نطرح وقائع الذى حدث، نشير إلى مصادرنا التى أعتمدنا عليها وهم:

«١» شيخ العبيد عامر محمد على: الرئيس السابق لاتحاد مزارعى النيل الأبيض، أم هانئ والزليط. «٢» أحمد محمد إبراهيم: السكرتير السابق لاتحاد مزارعى جودة في ذلك الوقت. «٣» إفادات جريدة الأيام ومراسلها بكوستى وتقارير رئيس تحريرها الذى جاء إلى المنطقة خصيصاً لتغطية تلك الأحداث في ذلك التاريخ.

- كما نضمن في هذه العجالة ما ورد في صحف ذلك الزمان من أخبار وتعليقات نثراً وشعراً .. ونشير إلى أننا وفى سبيل ديمومة الاحتفاء بهذه الذكرى سنوياً سوف نتبنى مشروعاً ذا شقين: الأول: إقامة نصب تذكارى على مدفن شهداء عنبر كوستى الثانى: إقامة مؤسسة تعليمية وعلاجية بمنطقة جودة تحمل أسم مؤسسة شهداء جودة وفاءاً وعرفاناً .. ونهيب بكل محسن وطنى أن يتبرع بما يستطيع حتى يرى المشروع النور وشكراً ...

اللجنة القومية لإحياء ذكرى شهداء جـودة فبرايـر ١٩٥٦ – فبراير ١٩٨٦م.

منذ عام ١٨٩٨ سيطر الاستعماريون على حياتنا الاقتـصادية وصاغوها دون موافقة شعبنا بهدف تحويل بلادنا إلى قطر ينتج المواد الخام بأبخس الأثمان لصالح الاحتكارات الأجنبية والحيلولة دون تطور اقتصادنا تطوراً مستقلاً لصالحنا، ورغم أتساع رقعة بلادنا وثرواتهـا الكثيرة الظاهرة والباطنة، فقد أبقانا المستعمرون في حالة مريعة مـن الفقر والحرمان، وفى سبيل جني أرباح خيالية أقام الاستعمار مشاريع القطن على ضفاف النيل، وفى المناطق الاخرى ذات الري الطبيعـي السهل مهملاً المحاصيل الغذائية، وحرمنا الاسـتعمار مـن اكتـشاف ثرواتنا المعدنية ووقف ضد تطوير وسائل الري والنقـل، وبواسـطة الشركات الاحتكارية سـيطر الاسـتعمار علـى عمليـات التـصدير والاستيراد .. وبفضل ذلك اصبحت بلادنا سوقاً مفتوحـة لتـصريف البضائع البريطانية، على أساس غير متساوى، وترك اقتصادنا تحـت رحمة السوق العالمية معرضاً لنوبات الهبوط والصعود غير الطبيعـى وللسيطرة الاحتكارية.

وتحت ظل الحكم الاستعمارى نشأت طبقة اشباه الاقطـاعيين وكبار ملاك الاراضى، وتحول المزارعين إلى مجرد مـستأجرين أو خدم في مزارع السادة الملاك أو مزارعين فقراء .. وتحت الـضغط الاقتصادى الرهيب والفقر والاملاق هجر عدد كبير مـن المـزارعين

العمل في القرى ونزحوا إلى المدن عمالاً أجراء يتقاضون أجوراً زهيدة ومعرضين بشكل مستمر للعطالة دون أدنى تشريعات تحمي مستقبلهم أما جماهير المزارعين التى بقيت في قراها فقد كانت تئن تحت نظام (المحاصصة) والربا وتتجرد يومياً من ما كانت تملك من مواشي وغيرها. وتفرض عليها ضرائب المياه والعشور و(الدقنية) والتى تذهب جميعها للمحافظة على جهاز الدولة البيروقراطي. وأبقى الاستعماريون والإقطاعيون وسائل الإنتاج في حالتها البدائية، تاركين المزارعين يعملون في حالة من الإرهاق العنيف الذي لا تعوضه تغذية ولا راحة .. ونتيجة لكل ذلك بقيت زراعتنا متأخرة وبقى حجم الإنتاج في حالة من الضعف يعجز معها عن تلبية الحاجات المعيشية للشعب ويعرض البلاد لهزات المجاعة. وإزاء وضع طبقة المزارعين المزري هذا من حيث علاقات الإنتاج بينهم والشركات الاحتكارية وشبه الإقطاع، وإزاء الظروف الضاغطة اقتصادياً واجتماعياً والتى كرست القوانين واللوائح المنظمة لهذه العلاقة والتى لم يشرك المزارعون في صياغتها بل فرضت عليهم فرضاً لتستغل الشركات الاحتكارية وشبه الاقطاع عرقهم وكدهم في سبيل اكتناز المال دون أي جهد يذكر سوي السعي للحصول على الترخيص والذي يتم غالباً على حساب سكان المنطقة والذين يمارسون الزراعة على واقع أرض صغيرة تنتزع منهم بموافقة رجال الادارة الاهلية والذين يوقعون على شهادة (خلو الأرض) محل الترخيص من (النزل) ليقوم هؤلاء بتكملة الإجراءات

وما من مجير أو حسيب إذ يتحول مالك الأرض إلى مزارع تحت خدمة صاحب الرخصة وبشروط مجحفة لا يتوفر له معها ادني متطلبات الحياة ناهيك عن خدمات التعليم والصحة والامن ورغماً عن اتحاد العلاقة ما بين المزارعين والشركات الاحتكارية وشبه الاقطاع في كل بقاع السودان الا أن اللوائح والاسس المنظمة لعلاقات الانتاج لم تكن موحدة، ذلك بقصد ان لا تتحد مشاكل هذه الفئة من المواطنين على أمل تشتيت أي جهود أو محاولات تنهض لمجرد الاحتجاج على علاقات الانتاج غير المتساوية هذه.

في مثل هذه الظروف وازائها تكون اتحاد مزارعى الجزيرة واتحاد مزارعى النيل الأزرق في محاولة لإعادة التوازن لهذه العلاقات ولتجميع جهود المزارعين لمواجهة الاستغلال البشع الذى يعانون منه وصلاً وتصعيداً لقضايا الزراع والتى أثيرت بدءاً من عام ١٩٥٣م.

وفى منطقة النيل الأبيض تحرك المزارعون يجوبون المشاريع الزراعية لطرح فكرة تكوين اتحاد للمزارعين بها، تعريفاُ بالاتحاد وأهميته وضرورة التفاف كافة المزارعين حوله في مواجهة ما يعانون، وقد تكللت تلك الجهود بنجاح منقطع النظير، إذ جند كل من تم الاتصال به نفسه داعية لقيام هذا الاتحاد رغم الحرب الشعواء التى شنتها إدارات المشاريع وأصحابها ضد هذه التحركات والتى أسفرت عن اجتماع ضم قطاعات الزراع ومناديبهم ليتكون اتحاد النيل الأبيض

ومقرة كوستى، ويضم في عضويته مزارعي: (١) أم هانئ. (٢) جودة. (٣) دبة بوسن. (٤) النفيدي.. (٥) أبورماد. (٦) الحديب. (٧) ربك. (٨) الملاحة. (٩) قلي. (١٠) الغزالة. (١١) الزليط. (١٢) كركرة. (١٣) المخاليف.

وقد جاءت أول مقررات التأسيس المطالبية بالأتى:

(١) الاعتراف باتحاد مزارعى النيل الأبيض.

(٢) تأميم المشاريع الزراعية وإشراك المزارعين (شركاء لا أجراء) وذلك خلال خمس سنوات وان يعدل حساب المزارع خلال هذه الخمس سنوات إلى ٦٠% بدلاً عن ٤٠%، كذلك تعديل خصومات تكاليف الانتاج وذلك بخصم ٦٠% منها على نصيب صاحب الرخصة بدلاً عن المزارع، كذلك خصم جلب عمال اللقيط واجورهم في عملية التسويق وفى عائد البذرة والاسكارتو.

(٣) إنشاء جمعيات تعاونية زراعية متعددة الأغراض تؤول إليها ملكية المشاريع الزراعية بعد تكملة إجراءات التأميم.

(٤) انشاء بنك زراعى لتمويل العمليات الزراعية والزراعة المطرية لحماية المزارعين من (الشيل) وما ينتج عنه.

(٥) توفير مياه الشرب الصالحة وبناء مدرسة في أي مشروع به الف مزارع أو حواشة، ورفع نقاط الغيار إلى شفخانات، ومدارس متوسطة وثانوية وبيطرة حديثة وتطالب بان تكون

المدارس كخطوة أولى بالمدن والقري الاتية: مدرسة ثانوية بنات وبنين بربك ومثيلاتها بالجزيرة ابا وتندلتي ومدرستين ابتدائيتين بنين وبنات بام هانئ وجودة.

كان رد فعل اصحاب المشاريع عنيفاً تجاه قيام الاتحاد وتقدمه بهذه المطالب وانتشروا عن طريق رجال الادارة الاهلية وسط المزارعين يشيعون بان الاتحاد منظمة شيوعية وان الاشتراك الذى حددته لائحة الاتحاد المالية بواقع الشهر عشرة قروش للحواشة هو بمثابة تذكرة (الالحاد) لدخول نار جهنم!!. لينخفض حقيقة معدل دفع الاشتراكات إلى ٣٠% فقط مما هو مقدر وامتنعت تماماً فئات المزارعين العاملين بالمنطقة الشمالية عن دفع الاشتراك أو الانخراط في الاتحاد عدا قلة لا تتجاوز اصابع اليد. ورغم ذلك وبالإضافة للتجاهل التام لمطالب الاتحاد فقد واصل الاتحاد تحت ظروف قهر وتنكيل تجاوزها تماماً مكتب الاتحاد، هذا وقد طاف وفد من الاتحاد الوليد واتصل بكل من اتحادات مزارعى مشروع الجزيرة والنيل الأزرق وإجتمع بهم حيث اكدوا تضامنهم اللا محدود مع مزارعى النيل الأبيض واتحادهم الفتي حتي يري النور ويواصل نضاله من أجل قضايا ومشاكل المزارعين بمنطقته كما قررت هذه الاتحادات ارسال مناديب للذهاب إلى الخرطوم وعقد مؤتمر صحفى لطرح المطالب وفتح قنوات الحوار حولها، هذا وقد تم انعقاد المؤتمر الصحفى بالخرطوم وشاركت فيه صحف ذلك الزمان وهى: الصراحة، الرأى

العام، الميدان، النيل، النداء، السودان الجديد علـــى مـــستوي رؤســاء التحرير وبعد الشرح والتوضيح والاستفاضة أخذ النقاش طـابع النقـد والهجوم الصارخ والمتحامل من مناديب جريدة النيل لسان حال حزب الامة وجريدة النداء لسان حال الوطنى الاتحادى. بحجة واهية هي أن المرحلة التى تمر بها البلاد حالياً هى مرحلة (تحرير لا تعمير) لينقسم المؤتمرون إلى مؤيد ومعارض حيث وقف مناديب كل مـن صـحف الميدان والرأي العام والأيام والصراحة في وجه التيار الـذى انبـرى لتسفيه قضايا ومطالب المزارعين مفندين كل ما استند عليـه مناديـب صحيفتى النيل والنداء، أما البقية الباقية من مناديب الـصحف الـذين حضروا المؤتمر فقد كان موقفهم متأرجحاً وإن أبدوا كثيراً من عـدم الرضا تجاه هذه التحركات وتوقيتها – لتخرج الصحف فـي صـبيحة اليوم التالى باخبار انعقاد المؤتمر وما دار فيه نقداً ومؤازرة وتأييداً .. فقد ازرت كل من الرأي العام والميدان والأيام والـصراحة مطالـب المزارعين وابانت وفضحت الظروف التـى صـيغت فيهـا اللـوائح المحددة لعلاقات الانتاج واثارها السالبة على المزارعين. وشنت حملة شعواء على جهاز الدولة الذى تجاهل هذه الفئـة مـن المـواطنين – وطالبت بالتخلى عن سياسة التجاهل وإعادة الامور إلى نضابها محذرة من مغبة هذه السياسة.. وسودت بعض الصحف صفحاتها وتحاملهـا على المزارعين تركيزاً على أن المرحلة مرحلة (تحريـر لا تعميـر) وان ارتفاع اصوات بمثل هذه المطالب غير (المعقولة والمقبولة) مـن

شأنها ان تعيق التفاف الامة حول مطلب التحرير – دون أن تكلف هذه الصحف نفسها مجرد البحث في الظروف التى يعيش فيهـا هـؤلاء المزارعون وما يعانونه من جراء اللوائح والقوانين التى كرست لخدمة الشركات الاحتكارية وشبه الاقطاع المتمثل في السادة المشمولين بعناية وكفالة تتيح لهم سرقة جهد وعرق عبيد الارض من المزارعين.

بعد هذا المؤتمر الصحفى وجهت هـذه الاتحـادات الـدعوة لمؤتمر يضم كافة مزارعى السودان حيث وجهت الدعوات مـشفوعة بنسخ من مشروع دستور اتحاد مزارعى السودان ولوائحه الداخلية لكل من اتحادات مزارعى شرق السودان وغربه وشماله ووسطه لاجتماع يضم مكاتب اتحادات المزارعين الفرعية بالسودان. وبدار اتحاد نقابات عمال السودان بالخرطوم تداعى مزارعوا الـسودان لاجتمـاع عـام لممثلى كافة مزارعى السودان لعقد مؤتمر دعيت إليه كافة الأطـراف المعنية بقضايا الزراعة والزراع في السودان. حيث تـم عقـد هـذا الاجتماع بدار اتحاد العمال بالخرطوم في العشرين من يناير ١٩٥٦م، هذا وقد ضم الاجتماع ممثلو الاتحادات الأتية:

(١) اتحاد مزارعى الجزيرة برئاسية الأمين محمد الأمين.

(٢) اتحاد مزارعى النيل الأزرق برئاسة الشيخ محمد الخير أحمد.

(٣) اتحاد مزارعى دلتا القاش – أروما وكسلاً – برئاسـة الـشيخ الحاج ناي لاي.

(٤) اتحاد مزارعى النيل الأبيض برئاسة شيخ العبيد عامر محمد علي.

(٥) اتحاد مزارعى جودة برئاسة إسماعيل عساكر.

(٦) اتحاد مزارعى جبال النوبة برئاسة أحمد مالك.

هذا وقد شملت الدعوة لهذا الاجتماع رئيس واعضاء مجلس الوزراء ورؤساء الاحزاب، ونواب البرلمان، ورؤساء تحرير الصحف. وقد شملت أوراق عمل المؤتمر الاجندة التالية:

(١) تأكيد قيام اتحاد مزارعى السودان والاعتراف به.

(٢) الاعتراف باتحادات المزارعين الفرعية تحت لواء الاتحاد الاب.

(٣) الغاء لائحة سحب مياه النيل ويترتب عليها:

أ) إشراك المزارعين في لجان الفرز والتسويق.

ب) إشراك المزاعين في عائد مشتقات القطن كالبذرة والاسكارتو.

ج) وضع برامج واضحة لتصنيع الاقطان بالاشتراك مع اتحاد مزارعى السودان.

(٤) تمثيل المزارعين في البرلمان وذلك بتخصيص دوائر لاتحاداتهم.

هذا، ولما كانت الاتحادات الفرعية تسعى لانتزاع الاعتراف بها وفقاً للقوانين واللوائح الادارية، ولما كانت هذه القوانين تختلف من

منطقة إلى أخرى مما أدي إلى اختلاف اساليب التعامل بين منطقة واخرى – إمعاناً في تشتيت المزارعين حتى لا تتوحد قضاياهم، فقد اقر الاجتماع ان تضع الاتحادات الفرعية، كل على حدة، برامجها المطلبية وفقاً للأسس واللوائح والقوانين التى تحكم علاقات الانتاج في المناطق المختلفة على الا يخرج ذلك عن الاطار العام الذى اقره اتحاد عام مزارعى السودان.

هذا وقد جاء برنامج اتحاد مزارعى جودة والنيل الأبيض على النحو التالى:

(١) الاعتراف بالاتحادات الفرعية.

(٢) الغاء لائحة سحب مياه النيل واشراك المزارعين في صياغة بديل لها ومن ثم تعديل الانصبة لينال المزارع ٦٠% بدلاً عن ٤٠% وينال صاحب الرخصة ٤٠% بدلاً عن ٦٠%.

تجدر الاشارة إلى ان نصيب المزارع بمقتضى لائحة مياه النيل كان ٤٠% يخصم منها تكاليف الانتاج الاتية:

أ/ الحرث.

ب/ الطرد الجاف والاخضر.

ج/ جلب عمال اللقيط.

د/ اللقيط.

هـ/ الجوالات والترحيل إلى المحالج.

بينما يدخل في الحساب المشترك بين المزارع وصاحب المشروع تكاليف:

أ/ الحلج.

ب/ الترحيل إلى بورتسودان.

ج/ التفريغ والتخزين.

(٣) تقديم كشوفات الحسابات منذ سنة ١٩٥٣م ببيانات وافية عن سياسة التسويق والاسعار.

(٤) حفر حفائر لمياه الشرب.

(٥) انشاء مدارس كتاب ومتوسطة وثانوية.

(٦) انشاء محكمة محلية يرأسها رئيس الاتحاد.

(٧) رفع نقاط الغيار إلى شفخانات.

هذا وقد عكست الصحف ما دار في المؤتمر وانقسمت بحسب توجهاتها بين معارض ومؤيد وانفض المؤتمر الذى كان عبارة عن تظاهرة كبيرة لمزارعى السودان فضحت السياسات الزراعية في مختلف انحاء السودان وأبانت القصور ووضعت العلاجات وخلقت علامات دهشة كبيرة .. ففهمهم العميق لقضاياهم، وهمومهم، حقوقهم وواجباتهم والتصدي لها بوطنية متجردة ووعي طبقى رفيع اخاف من كانوا يصفونهم بالدونية .. دهشة وخوف من هذا التطور السريع في التفكير والتناول المتقدم لمشكلات الزراعة وعلاقات الانتاج المحيطة بها: تشريحاً وفضحاً، ووضعاً للحلول وفى نفس الوقت أسعد هذا الذي

حدث قطاع كبير من المواطنين المتجردين الامن حب الوطن والخير لبنيه.. وتمتموا في غبطة: (إنهم قادمون)!!.

عاد اتحاد مزارعى النيل الأبيض واتحاد مزارعى جودة إلى مناطقهم وخاطبوا قواعدهم التى أشادت بالمؤتمر وبمقرراته العامة، كما أمنت على ضرورة الوقوف صفاً واحداً قوياً خلف برنامجهم المطلبي .. تحرك بعد ذلك قادتهم إلى كوستى يحملون برنامجهم المطلبى لمقابلة السلطات لشرحة ومناقشته ومن ثم وضعه موضع التنفيذ .. وفى كوستى رفض مفتش المركز مقابلتهم ابتداء .. حيث أعلن أنه لا يعترف باتحاداتهم الفرعية باعتبارها تنظيمات مخالفة للقانون، أما إن كان الاجتماع بمزارعين لا يشملهم شكل تنظيمى معين فانه سوف ينظر على ضوء دراسة موضوع الاجتماع وعما إذا كان سيجتمع بهم أم لا، على أن يعودوا إلى مواقعهم انتظاراً لموافقته للاجتماع بهم أو رفض الاجتماع بهم إن هم قبلوا شرطه الأخير يعني في كلا الحالتين لا اجتماع في شكل افراد أو تنظيم!

إمام هذا الصلف اصر المزارعون على كيانهم التنظيمى وانسحبوا من كوستى لينطلقوا في طواف غطى كافة مشاريع منطقة جودة والنيل الأبيض أم هانئ حيث ابانوا ما توصلوا إليه ودعوا المزارعين إلى مؤتمر محلى بدار اتحاد لجان عمال السكة الحديد بكوستى بحى المرابيع في العاشر من فبراير ١٩٥٦، ففى هذا التاريخ شهدت مدينة كوستى لأول مرة في تاريخها تجمع أكثر من خمسة ألف

مزارع في مؤتمرهم المحلى والذى شهده جمع غفير من مواطنى المدينة، حيث تدارس المزارعون موقف السلطة من الزراع واجمعوا على التمسك ببرنامجهم المطلبى وإصرارهم على شكل اتحادهم التنظيمى الذى اختاروه بحريتهم وإرادتهم، وتقرر ان ينفض المؤتمر بعد تسيير موكب إلى مركز كوستى لتسليم مذكرة إلى مفتش المركز تحوى البرنامج المطلبى والمطالبة بالاستجابة لكل المطالب واعلان الدخول في إضراب مفتوح وعدم مباشرة الاعمال الزراعية وتسليم القطن اعتباراً من ١٩٥٦/٢/١٥م ما لم تستجيب السلطات للاجتماع بالاتحاد لمناقشة المطالب المضمنة في مذكرة الاجتماع العام..

هذا وقد انتظم المزارعون في موكبهم المهيب تتقدمهم لجان إتحاداتهم لتخرج مدينة كوستى عن بكرة ابيها للمشاركة في هذا الموكب دعماً ومؤازرة للمزارعين فبينما كانت مقدمة الموكب قد وصلت امام مكتب مفتش المركز في موقع المحكمة المدنية الحالى كانت مؤخرته امام مكتب بريد وبرق كوستى في الجزء الشرقى من السوق ورغم الاوامر المشددة والحشد الكبير من رجال البوليس والتى حاولت تفريق هذا الجمع الكبير والحيلولة دون وصوله إلى مكتب مفتش المركز، الا أن الموكب شق طريقه وعجزت السلطات عن تفريقه اذ كان الامر اكبر من طاقاتها .. وقد انفض الموكب برغبة قادته بعد ان اجبروا السلطات على استلام مذكرتهم!

وتضج الدنيا كلها ويصطفق البـــرق حـــاملاً انبـــاء الموكـــب ومحتويات المذكرة والاعلان عن الاضراب العام للمزارعين ومواعيده المحددة فاهتزت كل المواقع في كل الاوساط سلطة وشركات احتكارية وشبه اقطاع وتحفزت .. وكان رد فعلتها غشيماً وفظيعاً .. ضـــرورة مواجهة هذا الذي يحدث بالحزم والحسم الضيقين في التفكيـــر دائمـــاً وابداً .. ولتصدر قرارات سرية لمواجهة هذا الاضراب بالقبض علـــى قادة جودة والنيل الأبيض أم هانئ ومحاكمتهم بالسجن مدد طويلة وإن اقتضى الأمر تصفيتهم جسدياً في حالة تنفيذهم للاضراب وقد تم ابلاغ هذا القرار لسلطات البوليس والمحاكم، الذين انيط بهـــم تنفيـــذ هـــذه القرارات.

وبتاريخ ١٥ فبراير ١٩٥٦م تم تنفيذ الاضراب بنسبة ١٠٠% في مشاريع جودة والنيل الأبيض أم هانئ والزليط والمشاريع الاخرى الصغيرة المنتشرة بالمنطقة حيث امتنع المزارعون عن مباشرة اعمال الزراعة وتسليم القطن، لتنتشر قوات البوليس في منطقة النيل الأبيض أم هانئ والزليط بكامل عدتها وعتادها في محاولة تهديديـــة لاجبـــار المزارعين لفك الإضراب الا أن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع رغـــم ممارسة العسف والتنكيل. ولم تتمكن قوة البوليس المرابطة وتلك التى كانت تجوب قري وفرقان المنطقة من القبض على قيادات مكتب اتحاد المزارعين برئاسة شيخ العبيد عامر والذى ظل يتجول وسط قاعدتـــه في تحركات معاكسة لتحركات البوليس بالمنطقة باعثاً في قاعدته روح

الصمود شاحذاً للهمم بضرورة الصبر على عسف العسكر موكداً على أن الضغط هو السبيل الوحيد لانتزاع مطالبهم من مخالب السلطة وأذنابها من الاحتكاريين وشبه الاقطاع - بعد أن فشلت محاولات اتحاداتهم في مخاطبة السلطات - والتى كان ردها التجاهل التام - لتنشيط قوة البوليس في بحثها المحموم للقبض على قادة مكتب الاتحاد والذى برع المزارعون في تأمينه نأياً به عن بطش السلطة - ليتوجه شيخ العبيد عامر وأخرين ازاء تضييق الخناق وتكثيف البحث عنهم إلى الخرطوم لتصعيد القضية وذلك في ١٦ فبراير ١٩٥٦م كما كلف السكرتير العام للاتحاد أحمد محمد ابراهيم ومجموعة اخرى للطواف على باقى المشاريع التى لم يشملها الطواف لحفز المزارعين على الثبات والصمود.

ولما لم تجدى محاولات فك الاضراب لفشل السلطات الذريع في القبض على قادة الاتحاد فقد تم القاء القبض على خمسة وخمسين مزارعاً من ام هانئ والزليط وقدموا لمحاكمات عاجلة امام المحكمة الاهلية بكوستى بتهمة الاضراب عن العمل وعدم تسليم القطن وقد تمت هذه المحاكمات الجائرة دون اى سند قانونى، كما لم تتح للمزارعين المقبوض عليهم فرصاً للدفاع عن انفسهم أو توكيل محامين يدافعون عنهم هذا وقد وقعت عليهم المحكمة الاهلية احكام سالبة للحرية جاءت نتائجها كالأتى:

(١) السجن لمدة عام ونصف لستة مزارعين.

(٢) السجن لمدة عام واحد لاربعة عشر مزارعاً.
(٣) السجن لمدة ستة أشهر لثلاثة وثلاثين مزارعاً.
(٤) الجلد عشرة جلدات لاثنين من المزارعين لصغر سنهم.

ازاء هذه المحاكمات الجائرة ضجت المدينة وسكانها بهذه الممارسات غير العادلة..

حيث كان في طليعة المحتجين والرافضين لهذه الاجراءات غير العادلة الطبقة العاملة الفتية الجسورة بمدينة كوستى حيث سيروا المظاهرات الهادرة احتجاجاً على تلك الاحكام الجائرة ونتيجة لهذا الموقف التضامنى الشجاع تم على الفور اعتقال:

(١) حامد شاكر حامد سكرتير اتحاد العمال الفرعى.
(٢) فرح عثمان شرفى سكرتير اتحاد لجان عمال السكة حديد.
(٣) الطاهر أحمد موسى سكرتير فرع الحزب الوطنى الاتحادى (الحزب الحاكم في ذلك الوقت).
(٤) محمد عمر بابكر سكرتير نقابة موظفي البريد والبرق الفرعية.

وقد تم الاعتقال بتهم: تسيير مواكب غير مشروعة، تحريض المزارعين في اجتماع عام غير مصرح به ومشاركتهم في ذلك المؤتمر الشعبى مؤيدين ومحرضين للمزارعين في مواقفهم تلك. هذا، وقد ظل المعتقلون بالحراسة حتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالى – حيث اطلق سراحهم بكفالة مالية قدرها ثمانون جنيهاً لكل منهم، وقام

البوليس بتفتيش منازلهم. كما تم التحقيق مع ممثلى الهيئات الاخرى الذين تحدثوا في المؤتمر .. بينما نقل المزارعون الذين عوقبوا بالسجن إلى سجن ودمدني تحت حراسة بوليسية مشددة لتعيش بعدها مدينة كوستى وما حولها تحت حالة من التوتر ومحاولات رجال البوليس العشوائية لارهاب أي فرد بالمدينة وفى المشاريع الزراعية!

وفى اليوم التالى ١٨-٢-١٩٥٦م وصلت إلى جودة قوة من البوليس بكامل عتادهم ترافقهم عربة اسعاف مستشفى كوستى – هذا يعنى بالطبع نوايا شريرة لعمل اجرامي وعدوانى وقمع اعد له سلفاً – وجاءوا إلى جودة وانتظروا وصول هيئة المحكمة الاهلية للقبض على قادة اتحاد المزارعين بجودة لمحاكمتهم (وجابت القوة المكونة من خمسين جندى بوليس وخمسة من جنود الادارة الأهلية القرى وكان على رأس هذه القوة الضابط على الفضلى .. جابت القوة قرى المشاريع لإرهاب المزارعين لفك الاضراب، وكان الغرض بالطبع من القاء القبض والمحاكمة بموقع المشروع هو ارهاب المزارعين والابتعاد عن أعين الرقباء ومراسلى الصحف ولتجنب ردود الفعل التى اثارتها محاكمات الامس بمدينة كوستى والتى هزت مظاهراتها التضامنية المدنية هزاً عنيفاً.

التفاوض مع لجنة الاجاويد:

توتر الجو بمشروع جودة وبدت في الافق نذر شر مستطير بسبب الاستفزازات المستمرة من قبل قوات البوليس ومدير المشروع المستر (بزوي) ولما كان الاضراب شمل كافة المشاريع الزراعية بالمنطقة – فقد تحركت بعض العناصر كلجنة (اجاويد) للتوسط لحل النزاع ولتقريب وجهات النظر بهدف الوصول إلى حلول ترضي الطرفين. وكانت تلك اول بادرة للتفاوض، علماً بأن هذه اللجنة قد خرجت من مقر مدير المشروع المستر (بزوي) وقائد قوة الشرطة على الفضلى وممثلى أصحاب المشاريع وهيئة المحكمة الأهلية القادمة من كوستى برئاسة الناظر الشريف المكي عساكر، اجتمعت لجنة الأجاويد بالسيد أحمد إبراهيم سكرتير اتحاد المزارعين بمنزلة طالبين التفاوض والتوسط كلجنة اجاويد، إلا أن سكرتير الاتحاد طلب منهم أن تتاح له الفرصة للاجتماع برئيس وأعضاء مكتب الاتحاد ليصدروا قرارهم بالموافقة على التفاوض وأسسه أو رفضه، حيث أن السكرتير غير مفوض باتخاذ مثل هذا القرار منفرداً، وفى تمام الساعة الثامنة من مساء ١٩٥٦/٢/١٨م اكتمل عقد اجتماع لجنة مزارعى جودة بمنزل السكرتير حيث توصلوا إلى قبول التفاوض رغم تحفظهم من أن لجنة الأجاويد ما هى الا جزء من الطرف الثانى. هذا وقد تحركت لجنة الاجاويد إلى حيث مقر الطرف الثانى والذى اتخذ قراراً جديداً

بعدم الجلوس مع اتحاد المزارعين على طاولة مفاوضات واحدة، وأن لا يتم التفاوض بطريق مباشر وكان على لجنة الأجاويد الانتقال ما بين مقر اتحاد المزارعين ومقر الطرف الثانى نقلاً لوجهات النظر لكل طرف لتسفر المحادثات عن تنازل المزارعين الجزئى عن مطالبهم المتعلقة بالغاء لائحة سحب مياه النيل المحددة للعلاقات.. والاعتراف باتحادهم باعتبار ان هذا المطلب قومى وليس في وسع الطرف الثانى الاستجابة له حيث أنه يخرج من دائرة اختصاصه وغير مفوض حتى بمجرد مناقشته – ناهيك عن اتخاذ أي قرار حوله وأن كل ما يستطيع الطرف الثانى عمله بشأنها هو التوصية بالاستجابة له .. ففى مقابل هذا التنازل الجزئى وافق الطرف الثانى للاستجابة إلى ما تبقى من مطالب حيث أتفق الطرفان على:

١/ حفر حفيرين لمياه الشرب بكيلو (٤) وكيلو (٨).

٢/ صرف مبلغ عشرون جنيهاً لكل حواشة كسلفية تخصم لاحقاً بعد المراجعة للحساب المشترك.

٣/ أيضاح سياسة التسويق والاسعار وتقديم كشف الحساب.

٤/ رفع نقاط الغيار إلى شفخانات بكل من جودة وأم هانئ.

٥/ إنشاء المدارس بمختلف مراحلها لتوزع وفق الكثافة السكانية بجودة وأم هانئ والجزيرة ابا والمرابيع والشوال وربك في والجبلين.

٦/ انشاء محكمة محلية يمثل فيها اتحاد المزارعين.

٧/ ان يخاطب اتحاد المزارعين قاعدته بجودة عند تجمعهم بميدان القطن صباح اليوم التالى ١٩٥٦/٢/١٩م معلناً وموضحاً المكاسب التى تحققت وفك الإضراب.

٨/ ان تقوم إدارات المشاريع بتدوير وابورات الري ليعتبر امتلاء الترع بالمياه خطوة أولى تؤكد جدية الطرف الثانى (الإدارة وأصحاب المشاريع والسلطة ولجنة الأجاويد).

بعد هذه الخطوة تحركت لجنة اتحاد مزارعى جودة ومناديبها إلى المشاريع المختلفة حيث اجتمعوا بقواعدهم ناقلين ومبشرين بالاتفاق والمكاسب التى تحققت واستمروا في الاتصال بالمزارعين على هذا النحو حتى صباح اليوم التالى ١٩٥٦/٢/١٩م حيث تمكنت من إنجاح طوافهم بتغطية كل المنطقة التى أضرب مزارعوها رغم سعتها .. بينما دارت وابورات الري وامتلأت الترع بالمياه .. في أحلام الهجيع الأخير من تلك الليلة بات المزارعون الكادحون يحملون أحلاماً مشروعة بوادعهم الأخير للمرض والجوع والجهل وأخيراً وبعد مظالم تراكمت عبر التاريخ بصلف الإدارة الأهلية ومحاباتها للحكام والانحياز لهم ولكل باطل على وجه الأرض، أخيراً سوف يكون لهم ممثلوهم في تلك المحاكم ليدافعوا عنهم .. وأخيراً جداً ستكون هناك سلفيات (عشرون جنيهاً فد سجة يا زول) لتزيل بعض من كرب وتقيم بعضاً من أود .. وأخيراً تأكد لهم تماماً أن قوتهم تكمن في وحدتهم وفى اتحادهم الذى اختاروه بمحض إراداتهم وحريتهم وإن من كانوا

يستغلونهم أضعف من أن يقفوا أمام تيار هذه الوحدة الكاسح ... لكن، وبكل أسف وأسي، كانت تلك أضغاث أحلام لجوعي ظلــوا يحلمــون بالشبع طيلة سنين حياتهم على أرض المليون ميل مربع لم يشبعوا فيها ولم يهنأوا بكدحهم وعرقهم منها حتى فارقوها شهداء وهم متشبثين بها!

لم تكن تلك المكاسب، وتلــك الأحــلام المــشروعة لأولئــك الكادحين لترضى المستر (بزوى) مدير المشروع كما لم ترض رجال الإدارة الأهلية ومن بعثوا بهم إلى جودة .. فهذه المكاسب أكبر وأرفع من أن ينالها عبيد الأرض من مواطنى الدرجة الثالثة الذين يجــب أن يظلوا جهلاء وفريسة للمرض والجوع فالتعليم والعلاج والغذاء الجيــد للسادة وأبنائهم وأهليهم .. "فيلا بلا خمامي بلا جنغجورة بلا لمة.."

وكان ناظر الخط ورئيس المحكمة بكوستى القــادم خصيــصاً لإلحاق قادة مزارعى جودة برفاقهم من مزارعي أم هــانئ والظلــيط الذين أودعهم بالأمس السجن .. كان يعيش خيبة أمل كبيره فقد جــاء مدججاً بقوة البوليس لينفذ المخطط الذي يرمي لإيقاع أحكــام الــسجن الطويلة على قادة اتحاد المــزارعين وإن اقتــضى الأمــر تــصفيتهم جسدياً .. وأخيراً، كان قائد قوة البوليس الضابط على الفضلى ممثــل السلطة وأدواتها في القهر والبطش في كل المنطقــة والــذى عــرف بتسلطه وتعنته وقسوته على الكادحين والضعفاء من البشر والذي يسير على الأرض بغطرسة وتعالى حتى كاد أن يقول: أنا فرعون زماني .. أنا ربكم الأعلى .. فقد خالج هذا التحالف الــشيطاني غيــر المقــدس

إحساس مرير بأن الأمور لا ينبغى ان تساس بهذا الأسلوب، وهذه التنازلات التى قدمتها ادارة المشروع ومفوضي السلطة القادمين اصلاً للتنكيل بالمزارعين، الا انهم كانوا مجبرين. فالسلطة واصحاب المشاريع كانوا يرون ان توقيت الاضراب قد جاء في وقت ومرحلة يصعب تلافى أثارها ان لم يكن مستحيلاً – حيث يجب أن تستأنف أعمال الزراعة وتسليم القطن فدبروا مكيدتهم بذات الليل حيث وضعوا خطة ساذجة لكنها اجرامية ودموية فهكذا أريد لها وهى: بأن يكمن بعض من محاسبيهم وسدنتهم بحرابهم وسيوفهم وبنادقهم مختبئين خلف ردمية كيلو (٤) المؤدية إلى ميدان القطن بجودة – على ان تمر احدى عربات المشروع وعلى متنها سائقها المدعو عبد القادر عثمان وهو فراش بمنزل الناظر الشريف المكي عساكر – تمر العربة بموقع (الكمين) الذى أعد حيث تهاجمها المجموعة المختبئة به وتحطم زجاج العربة ليكون ذلك ذريعة لاستعمال القوة المسلحة ضد المزارعين المفترض اجتماعهم بميدان القطن ليخاطبهم قادة اتحادهم معلنين المكاسب ورفع الاضراب، وقد تنصل على الفور اصحاب المشاريع والسلطة والمتفاوضون مما التزموا به امام قادة الاتحاد – لينفذوا ما اتفقوا هم عليه ودبروه بليل: محاكمات في الهواء الطلق وبعيداً عن أعين أي رقيب لقادة الاتحاد والزج بهم في السجون، ليعود باقى المزارعين بعد التهديد والتنكيل بقوة السلاح لمباشرة أعمال الزراعة قهراً .. وما اصعب واشد قسوة وارهاباً للناس ان يواجهوا (الحكومة

والكاكى) وهم عزل من أي سلاح وقد زرع تلك الرهبة وذاك التـــردد الجيوش الغازية منذ عهد محمد على وجيش الباشبزق ومن قبلهم ابـــن ابى السرح واتفاقية (البقط) والتى كان من شـــروطها إرســـال العبيـــد والاماء من السودان إلى أمير المؤمنين بالكوفة وجاء من بعد هـــؤلاء الغزاه الانجلوا – سكسون ليشيعوا الرعب بعد الهزيمة فـــي كـــررى الاسطورة يدمرون ويحطمون كل ما يقع امامهم ويشعلون الحرائق في المدن والقرى – لمزيد من الرعب والخنوع .. لكن ما بال بنى وطني يفعلون هذا وبفظاعة اشد على ابناء جلدتهم؟ هل لانهم طالبوا بحقهـــم المشروع في اقتسام جزء من ثروة كان عائدهم منهـــا حـــق معلـــوم ومشروع وبعرق الجبين وليس هم بسائلى منحة أو عطاء أو زكاة! أي المساس بالملكية الخاصة لعائد وسائل الانتاج عندما تخـــدش وتمـــس ويصيبها أذى – كمثل ذاك الشرف الرفيع الذى لا يسلم مـــن الاذى – حتى يراق من جوانبه الدم؟! ويواصـــل اصـــحاب الملكيـــة الخاصـــة المستفيدون الظلمة الضغط على المزارعين واتحادهم فما دامـــوا قـــد تنازلوا عن مطالبهم الاساسية في: الغاء لائحـــة ســـحب ميـــاه النيـــل واشراكهم في صياغة بديل لها – يعدل علاقات الانتـــاج لـــصالحهم – كما تنازلوا عن مطلب الاعتـــراف باتحـــادهم – فـــانهم قـــادرون أي أصحاب الجاه والسلطان على سلب المزارعين مما نالوه من مكاســـب خدمية في المقام الأول .. وفات عليهم ان الناس وخاصة المـــسحوقين منهم يتعلمون على مر التاريخ ويرصدون ويجترون ويقيمون تجاربهم

وهم في هذا يكتسبون فن وذكـــاء الممارســـة القياديـــة. وقـــد كـــان المزارعون في هذا الموقف أذكى من السادة! فإن مطالبهم الأولى هى مطالب قومية لا يملك إزاءها مفاوضيهم حلاً ولا عقداً. وانه يكفيهم في هذه المرحلة ما حققوه من مكاسب محلية – خدمية تحسباً وتهيئة لجولة قومية اخري ضمن تحرك يضم كافة مزارعى السودان.

بداية التحرش ووقوع المأساة:

في الصباح الباكر من يوم ١٩ فبراير ١٩٥٦م ووفقاً للتـــدبير المسبق والمحكوم، وفى تمام الساعة السابعة صباحاً وبينمـــا اتجهـــت جموع الزراع إلى ميدان القطن – مكان اللقاء تحركت تلك العربة التى اعدت من ادارة المشروع إلى الموقع المتفق عليه – حيث تـــم تنفيـــذ الفصل الأول من المؤامرة تترك العربة في موقعها ويعود من كـــانوا على متنها بعد ان يكون زجاجها قد تحطم معلنين انهم هوجموا من قبل المزارعين وإن تلفاً بليغاً قد لحق بعربة المشروع وإنهم لولا هـــروبهم لقتلهم المزارعون المسلحون بالحراب والسيوف والنبـــادق!! ليـــصدر الضابط على الفضلي على الفور تعليماته لقواته بالتحرك السريع إلـــى مكان العربة – والتى لم يكن بجوارها أحد ليطلقواعدة اعيرة نارية في الهواء – لتتجه عرباتهم بعد ذلك صوب ميدان القطن والـــذى اكـــتظ ساعتها بما لا يقل عن العشرة الف مزارع رجالاً ونساء واطفـــالاً ... جاءوا تدغدغتهم احلام البارحة الا أنهم فوجئـــوا باصـــوات الاعيـــرة

النارية التى اطلقلها رجال البوليس في الهواء، وبقـوة البـوليس وقـد اصطفت بكامل عتادها تمطرهم بوابل من القنابل المـسيلة للـدموع – تمهيداً لاختراق صفوفهم – الا أنه وبفعل اتجاه الريح انعكس الـدخان المسيل للدموع على جموع العسكر ليكفوا عن القاء القنابل بإشارة من ضباطهم ليضعوا السونكي في مقدمة بنادقهم محـاولين بهـا اقتحـام صفوف المزارعين الذين الجمتهم الدهشة حيث اتجه سكرتير اتحـادهم أحمد محمد ابراهيم وبيده الخطاب المتفق على تلاوته بإعلان الاتفـاق والمكاسب ومن ثم فك الاضراب في محاولة لمعرفـة اسـباب الـذى يحدث وانهم، أى المزارعين لا زالوا عند كلمتهم وأن لا داعى لحـشد هذه القوة، وأنه لا معنى للتصرفات الاستفزازية .. ينبـري الـضابط المذكور (على الفضلى) بمخاطبة سكرتير الاتحاد قائلاً (أنا ما عـارف اى اتفاق .. انتوا رواعية غنم وبس .. عملوا ليكم مـشروع وكمـان عاوزين مطالب؟؟! وعاوزين مدرسة وشفخانة كمان انتوا الواحد لـو جاهو جواب يمشى بيهو القيقر قاطع مسافة خمسين ميل عشان يقـروه ليهو .. يلا امشى من قدامى قبل ما املاك نار!! هكذا خاطب الضابط على الفضلى السيد احمد محمد ابراهيم سـكرتير اتحـاد المـزارعين القارئ المتعلم، خريج المعهد العلمي وعضو الجبهة المعادية للاستعمار في ذلك الوقت اثناء ذلك وصل ركب رئيس هيئة المحكمـة الاهليـة وأعضائها ولجنة الاجاويد وعمدة الجبلين وعبد القادر عثمـان ليـشير إليهم قائد القوة على الفضلى بالوقوف في مكان حدده لا يـصل إليـه

دخان الغاز المسيل للدموع والذى كان يغطى سماء المنطقة، حينهـا، ولما ساد الهرج والمرج أوساط المـزارعين ازاء التحفـز والخطـر المحيط بهم تحرك بعض من اعضاء لجنة مزارعـى جـودة وعلـى رأسهم سكرتيرهم احمد محمد ابراهيم صوب نـاظر الخـط ورئـيس المحكمة الاهلية ولم يكن بايديهم سوي الخطاب المتفق علـى تلاوتـه بواسطة سكرتيرهم احمد محمد ابراهيم – وقيل ان يصلوا إلى المكـان الذى يقف فيه ناظر الخط انهمر عليهم الرصاص ليموت في الحال كل من (١) حماد جقر. (٢) محمد زين ابو شاتين. (٣) احمد محمد ابـو شاتين. (٤) احمد المؤمن. (٥) حسين على. (٦) محمد حامد. ويصاب سكرتيرهم احمد محمد ابراهيم إصابات جسيمة أحدثتها بجسمة اربعـة طلقات صوبت نحوه بتركيز وليس بضرب طائش!.. كان نتيجة هـذه الطلقات ان هشمت ساق الرجل اليمنى ليسير احمد برجل واحدة حتـى يومنا هذا .. اطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية فهو ما زال يكـد في الحياة من اجل عياله .. ووسط دهشة المزارعين خرجت امرأة من بين الصفوف تدعي نورة حامد تحزمت وتلزمت وتبعتها كثيـر مـن النساء واطلقت الزغاريد (والروراي) صرخة الحرب أو الاستغاثة لتبدأ اغرب واعنف مجزرة يشهدها تاريخ السودان الحـر المـستقل ولمـا الشفاه الفرحة تردد (اليوم نرفع راية استقلالنا .. ويسطر التاريخ مولد شعبنا؟!) حدثت المجزرة في تمام الساعة التاسعة الا ربُعاً من صـباح يوم الاحد (الدامي) الموافق ١٩ فبراير ١٩٥٦م – صـدف التـاريخ

وحدها جعلت ١٩ فبراير في مجزرة جودة تتوافق مع ١٩ فبراير ١٩١٧ في روسيا القيصرية وفى يوم احد سمي الاحد الدامى (كراسني فسكريسين) عندما حصد رصاص السلطة القيصرية مواكب العمال الكادحين والمثقفين الروس .. اهي صدف التاريخ ولا قلوب الكادحين شواهد يا ربى؟! ودارت المعركة في جودة بين قوة البوليس بكامل عتادها الحربى والمزارعين العزل ليحصدهم رصاص الغدر والخيانة .. وبالرغم من ذلك يحاول بعضهم الوصول إلى حيث وقف ناظر الخط رئيس المحكمة الاهلية والذى احتمى خلف ساتر ترسانة البوليس وليتمكن قبل الوصول إليه من الهروب ومن معه على ظهر عربته .. لتنجلى المعركة بنفاد ذخيرة البوليس واحتمائهم بعربات اللوارى التى جاءوا عليها – بعد ان حملوا قتلاهم الثلاثة وجرحاهم السبعة عشر .. بينما استشهد اثنى عشر مزارعاً واصيب اكثر من ثلاثمائة باصابات جسيمة.

ما الذى حدث ذاك الصباح الدامي!

بعد المذبحة: بقيت الجثث في العراء . . وحرم الأهالى من دفن أقربائهم!

الحكومة اصدرت بياناً اعلنت فيه ان ما حدث (إشتباك طفيف) .. مع مزارعين متمردين!

ردود الأفعال ما بعد المجزرة:

حمل المزارعون جرحاهم الى نقطة الغيار الوحيدة والتى أغلقتها قوات البوليس بتعليمات صارمة وبأن لا تقدم أي خدمات إسعافية للمصابين من المزارعين وامتد هذا الحظر لنقاط الغيار القريبة والشفخانات بالجبلين وربك ومستشفى كوستى وأصحاب اللوارى بعدم نقل أي جريح حيث أنهم متهمون بالقتل وتسبيب الأذى لرجال البوليس! ورجال البوليس الابرياء متهمون (بنثر الزهور والورود) على تجمع المزارعين السلمي!! ومن ثم اصبح أي مزارع جريح متهم بالقتل ويجب القاء القبض عليه (حياً أو ميتاً وكان القصد كما هو معلوم اخافة المزارعين من اظهار جرحاهم وبذلك يقل عدد الجرحى .. اما من استشهد من المزارعين فان الاتهام ينقل إلى ذويهم، وبذات القصد، فكان ان تم قبر من استشهدوا في اماكن خفية، وفى الغالب الاعم

امتناع عن اقامة المأتم والشعائر الدينية في مثل هذا الموقف تفادياً لإلصاق قائمة التهم بذويهم .. وكان ان فر المزارعون يحملون جرحاهم وموتاهم نأياً عن بطش السلطة المتمثل في قوات الجيش والبوليس التى استنفرت من الخرطوم وملكال والأبيض .. وسار المزارعون في الاحراش على الاقدام لا يتوقفون الا لدفن من يموت من المصابين او العجزة والاطفال نتيجة للارهاق والجوع والعطش – ليرتفع عدد من استشهدوا وتم حصرهم إلى (٨٧) مزارعاً وعامل لقيط (سبعة وثمانون) .. تمثل رد فعل الحكومة في اصدار بيان وصفت فيه الاحداث بانها اشتباك طفيف وقع بين مزارعين (متمردين) بجنوب كوستى وبين قوة من البوليس اغتيل خلالها ثلاثة من البوليس وثلاثة عشر مزارعاً وان قواتاً من البوليس والجيش قد تم ارسالها من القضارف ومدني والأبيض لصد وإخماد ذلك (التمرد) الذى قاده المزارعون.

كان ذلك هو رد فعل أول حكومة وطنية بعد نيل السودان لاستقلاله والتى تكونت من الحزب الاتحادى منفرداً بالسلطة ويشغل رئيسه منصبى رئيس الوزراء ووزير الداخلية رد فعل الحكومة المتمثل في بيانها الرسمى الذى اذيع، كان مقدمه لنشر القوات في منطقة الاحداث، والتى شرعت فور وصولها بالقبض والتنكيل بمن تبقى في المنطقة من المزارعين ومطاردة من هربوا إلى الاحراش وكان يرافق القوات قاضى كوستى المقيم الباكستانى الجنسية مصطفى

حسن .. حيث قامت هذه القوات بنهب المتاجر والمنازل الخالية من سكانها فالهاربون من بطشهم لم يجدوا وقتاً لاخفاء وحمل ممتلكاتهم على قلتها وضالة قيمتها ودفن موتاهم واخفاء جرحاهم ورد فعل السلطة الحاكمة والذى كشف بيانها المتوعد بالثبور وعظائم الامور من تنكيل وانتقام لم يمكنهم من التزود حتى بجرعات من الماء فانطلقوا إلى الاحراش والنجوع نأياً عن هذا البطش الموعود فمات منهم الكثير جوعاً اثناء هذا (الهروب العظيم) ومن بقى على قيد الحياة ولم يستطع الحركة لوحق وتم القبض عليه ليمتلئ سجن كوستى حيث كان القبض يتم بصورة عشوائية إذ تم القبض على كل من صادفته القوات حتى وإن كان بعيداً جداً عن مسرح الاحداث في منطقة تمتد من الجبلين جنوباً وحتى القيقر والرنك بالاضافة إلى منطقة مشاريع النيل الأبيض – ام هانئ والظليط حيث تم تطويق هذه المنطقة على اتساعها بصورة دائرية – وكانت الدائرة تضيق بكل من كان بداخلها وقد شمل تمشيط الدائرة مشروع جوده حيث تم القبض والتنكيل بكل من كان بداخلها وقد شمل تمشيط هذه المنطقة الواسعة بالقوات واصدار الامر شبه الصريح باهدار دماء كل من يعترض القبض عليه سفكت دماء وهتكت اعراض المزارعين والرعاة واللقاط وكل موجود حي ما عدا القلة القليلة المحتمية ببيوت العمد وزعماء العشائر من غير المغضوب عليهم والمرضى عنهم والذين عملوا (مخبرين) وكان لهم دوراً كبيراً في القبض على الكثيرين من زعماء ومتحمسي ونشطاء حركة

المزارعين بالمنطقة وقد تم نقل جميع المقبوض عليهم بقندرانات إلى سجن كوستى دون ماء أو طعام، يضاف إلى ذلك ارهاق المعركة والآمها العضوية والنفسية ليمتلئ سجن كوستى باكثر من ثلثمائه مزارع وصلوا منهكى القوى مكدودين ليعتصرهم الجوع والعطش ليهب الخيرون من أهل كوستى جمعاً للتبرعات وتقديم الطعام والكساء لهم – حيث تدفقت إلى ساحة السجن جموع المواطنين الذين تنادوا جماعاتا وافراداً فقدموا الخبز والبلح والكساء وجلبوا الماء لهم حيث تجلت نخوه رجال كوستى المشهود لهم بالمواقف البطولية والتاريخية داخل وخارج المدينة .. في نفس الوقت جبن بعض من اكتنزوا المال من عرق هؤلاء الكادحين وممن لهم مصلحة في استغلالهم وإذلالهم وإخضاعهم وأبت أنانيتهم وطغيانهم ونظرتهم الدونية للناس أن يسهموا بأي شيء وهم القادرون لسد رمق أي محتاج بالمدينة كل يوم .. إلا أن نخوه الأخرين غطت على كل شيء وفاضت ولم يكن لامتناع أولئك أثر يذكر ورغم تواتر وصول المعتقلين بأعداد كبيرة طيلة نهار اليوم العشرين من فبراير فإن أريحيه هؤلاء المواطنين ما فترت لحظة فجادوا بأكثر مما يستطيعون مما كان له أكبر الأثر في تخفيف معاناة المعتقلين وليأتى ليل العشرين من فبراير بحوالى الثلثمائة وأربعين معتقلاً في الوقت الذى لم يكن فيه بسجن كوستى موطئ قدم لمعتقل جديد فقد إمتلأت عنابر السجن وباحاته بالمعتقلين وتكدست حراسات البوليس والابنية القريبة المحيطة بأعدادهم الفائضة وكان النفر الخير

من أهل المدينة الذى نذر نفسه منذ الصباح الباكر لتقديم العون والغوث قد أووا إلى أهليهم نسبة للظروف الأمنية السائدة بحظر التجول.

وصل هؤلاء المعتقلين في ظروف كان أولها أن من ضـــمنهم رئيس اتحاد مزارعى جودة إسماعيل عساكر وجمع كبير من مزارعى جودة أصحاب القضية، وبعض ممن تم اعتقالهم لوجودهم بالمنطقــة، وثانيها أنهم اعتقلوا في أماكن نائية من كوستى بل وبعيداً من مــسرح الأحداث في جودة في محاولاتهم للابتعاد عن عسف السلطة – بعد أن امضوا جل وقتهم في تأمين بقية المزارعين والإشراف على تــرحيلهم وصلوا وكانوا مرهقين تماماً نفسياً وجسدياً نتيجة لما حاق بهــم فــي ميدان الأحداث من أساليب البطش والقمع والإذلال التى لاقوها من قبل ممثلى السلطة وللمجهود الذى بذلوه في ليلة ١٨ فبراير مــن تجميــع للمزارعين حتى صباح ١٩ فبراير دون نوم أو طعام وما بذلوه قبــل المعركة في محــاولاتهم لتهدئــة الخــواطر إلــى انــدلاع المعركــة وانفضاضها ومواراه من ماتوا الثرى ومحاولة إسعاف مــن أصــيبوا وأخيراً تأمين من نجوا وكانوا هم انفسهم مصابين باصابات مختلفة ولم يذوقوا طعماً للراحة منذ وصول قوات البوليس عصر ١٨ فبراير والى حين اعتقالهم ورفعهم في (القندرانات) صباح ٢٠ فبراير ووصــولهم إلى كوستى في ذلك المساء الحزين.

لصفة ونوعية هؤلاء المعتقلين فقد استبعدت السلطات حجزهم في معتقل محاط بالسلك الشائك وتم نقلهم إلى مبانى حاميــة كوســتى

الحالية في عنبر كان معداً أصلاً لتخزين السلاح والذخيرة، أبعاد مساحتة ٢٠ x ٧ متر، ووضع أمامه برميلان من الماء الساخن ولم تسمح القوة الحارسة للمكان والمكونة من أحد عشر جندياً وضابطاً أن يتزود المعتقلين من هذا الماء الساخن قبل حشرهم حشراً في العنبر الذى تبلغ مساحته الكلية ١١٠ متراً مربعاً فقد تم إدخالهم للعنبر قسراً تحت وابل من الضرب والشتم والتنكيل إلى هذا المكان الذى لقوا فيه حتفهم .. فقد أمروا بالجلوس القرفصاء كل عشرة معتقلين في صف .. وكان العنبر مقفولاً لمدة طويلة قبل دخولهم إليه لم يجدد هواءه وشبابيكه المحاطة بالأسياخ السميكة مغلقة بإحكام ومن الداخل ومن الخارج تم تدعيمها باخشاب ضخمة ثبتت بمسامير غليظة .. ومضت ساعة على هذا الحال .. وأشتدت الحرارة بداخل العنبر، فخلع المعتقلون ملابسهم وسال ما تبقى من أجسادهم من سوائل عرقاً بلل أرضية العنبر .. لترتفع أصواتهم طالبين من الحراس فتح ولو نافذة واحدة ليتسرب إليهم عن طريقها الهواء وامدادهم ببعض الماء صائحين (هاناس .. نحنا سودانية والحكومة سودانية .. أدونا الموية وافتحوا لينا للهواء) وتاتيهم الإجابة من الحراس في غلظة وتوعد (شيلوا شيلتكم) وتكرر النداء الذي كلما مر الوقت ازداد وهناً .. وتكررت الإجابة (موتوا موتكم).

بعدها، تناصح ثلاثمائة وأربعون مزارعاً سودانياً مسلماً – بلغ بهم الوهن والإحساس بدنو الأجل مبلغاً .. تناصحوا بالشهادة .. وتشهد

القادر منهم في انتظار الموت وتوالت صيحات الاستجداء الواهنة من هنا وهناك من أركان العنبر (القبر) وكان الرد صمت مطبق من جانب الحراس .. ليموت بعدها المزارعون الواحد تلو الأخر أثناء محاولاتهم الأخيرة لفتح الباب بدفعة من الداخل .. إلا أن قواهم قد خانتهم ليموتوا وقوفاً .. فضيق المكان لم يكن ليسمح بتمدد أحداً، ولم يبقى إلا من التصقوا بالشبابيك بحثاً عن منفذ هواء يتسرب إليهم عبر ما تيسر إحداثه من شقوق وفتحات صغيرة بأظافرهم.

مع بداية إطلالة صباح اليوم التالى كانت حركة المعتقلين قد همدت تماماً .. وبعدها بقليل، تمكن أحد المعتقلين من الخروج عن طريق منفذ أحدثه المعتقلين باحدى النوافذ واصل هو في زيادة رقعته إلى أن تمكن من الخروج عن طريقه حيث أعمل فيه الحراس سوانكي بنادقهم فاحدثوا به إصابات جسيمة ولم ينتبه لصياحه أحد (هاناس .. الرجال جوه ماتت .. هاناس الرجال جوه ماتت) وبحضور ضباطهم الذين ابلغوا بمحاولة هرب المزارع المعتقل حاول الحراس فتح الباب لإعادة الهارب إلى معتقله فلم يتيسر لهم فتح مغالق الباب فقد كان محملاً من الداخل بجثث من حاولوا اقتلاعه فاستعان الحرس بقوة أخرى تمكنوا بعدها من فتح الباب ليواجهوا بسيل من الجثث تتساقط إلى خارج العنبر ليهرول الضباط إلى مفتش المركز الذى أتصل بدروه برئاسة المديرية بمدنى حيث تم إبلاغ الخبر للسلطات الحاكمة بالخرطوم وانتشر الخبر .. وجاءت التعليمات بكيفية التصرف في

الجثث حيث تم عزل الموتى وكان عددهم (١٩٨) ونقل من بقى منهم وهم في الرمق الاخير إلى المستشفى وهم عراه تماماً لإسعافهم!! وقد تم تشريح ثلاث جثث ثبت خلالها أن الموت وقع اختناقاً وبفعل الحرارة والاجهاد والإرهاق الشديدين، وفى المستشفى توفى تسعة آخرون ليرتفع العدد الى (٢٠٧) مئتان وسبعة من البشر..

في كوستى الباسلة الثائرة اندلعت المظاهرات الهادرة الغاضبة التى قادها النقابيون وزعماء فروع الاحزاب بكوستى ومن ضمنهم سكرتير فرع الحزب الحاكم السيد الطاهر أحمد موسى أطال الله عمره .. تلك المظاهرة الهادرة الفريدة التى جابت شوارع المدينة وأطرافها في إدانة صارخه للذى حدث .. وتقدم مواطنو كوستى مطالبين بتسليمهم جثث الموتى لغسلها وتكفينها على نفقتهم الخاصة ومن ثم دفنها وفقاً للتقاليد المرعية دينياً واجتماعياً إلا أن السلطات أبت إلا أن تزداد إمعاناً في إذلال هذه الفئة حتى وهم أموات فتم حفر حفرتين خارج المدينة على بعد سبعه إلى ثمانية كيلو مترات جنوب كوستى دفنت فيها الجثث وهى بالحالة التى خرجت بها من العنبر عاريه تماماً ودون إقامة أي شعائر!!؟

وفى الخرطوم انعقدت المؤتمرات والندوات التى تحدث فيها شيخ العبيد عامر رئيس اتحاد مزارعى النيل الأبيض شارحاً القضية وأبعادها والخطر المحيق بهم الان لينتهى كل مؤتمر أوندوه يتحدث فيها شيخ العبيد بمظاهرة تأييد لقضية المزارعين إلى أن تناهت

وتواترت الأخبار عن أحداث ١٩ و ٢٠ و ٢١ فبراير ١٩٥٦ ليواصل شيخ العبيد عامر نشاطه الواسع لشرح أبعاد طبقته وتصعيدها ليتم اعتقاله في الخرطوم في اليوم الخامس والعشرين من فبراير ١٩٥٦ ليرسل مخفوراً مكبلاً تحت حراسه مشدده إلى كوستى وقد اعتقل معه من اتحاد العمال طه على (طه ابلسان) وحسب الرسول المؤمن الملقب بالشايقي من مزارعي جودة.

ولنترك المجال لصحف ذلك الزمان تتحدث عما فاتنا ذكره وعما تلى ذلك من أحداث .. نورد خلالها ردود الفعل الداخلية والخارجية للذى حدث فعلاً .. نثراً وشعراً ...

وفي العنبر المشؤوم (جوده)

إضراب مزارعي النيل الأبيض.

اعلن مزارعو النيل الأبيض الإضراب عن تسليم القطن ابتداء من أمس . .

وقد وصلتنا برقية من سكرتير اتحادهم تتضمن ذلك وتقول: (إن الإضراب سيستمر حتى تجاب مطالبهم التي رفعت من قبل) انتهى . .

(أ) الافتتاحية: الخبر الرئيسى بنط متوسط: عدد القتلى من المزارعين يحصر في (١٢) قتيلاً.

بنط كبير: السلطات تعتقل (٣٢٥) مزارعاً حتى أمس القتلى داراهم ذووهم قبل أن يجد البوليس الجثث جوده/ كوستى (من الرشيد بحيرى مراسل الأيام هناك) كنت أول صحفى يصل أرض المعركة في جودة التى راح ضحيتها عدد من المواطنين لم يتمكن المسؤولون من حصره بعد، كما جرح عدد كبير وقد اختنق المزارعون وهربوا إلى أماكن أخرى ويبحث عنهم البوليس الان في المشروع وخارجه حتى بلده القيقر، ويرافق البوليس قاضى كوستى المقيم ليأخذ الأقوال وينقل البوليس المعتقلين إلى كوستى – بلغ عدد القتلى الذين تحقق البوليس

من موتهم – حتى هذه اللحظة – (١٢) والجرحى (٢٢) منهم (٩) في حالة خطيرة واعتقل (٣٢٥) شخص بتهمة الاشتراك في معركة أمس الأول. وما يزال البوليس يوالى بحثه عن بقية المزارعين الذين فر بعضهم إلى القيقر، وأخذ البوليس يتتبعهم وينتظر أن يعثر على موتى وجرحى أخرين – إذ أن المزارعين في فرارهم أخذوا معهم موتاهم وجرحاهم، فقد وصل من مدنى القاضي عبد العزيز شدو ليرافق البوليس ويأخذ الأقوال – حتى يستطيع قاضى كوستي المقيم وهو باكستانى، أن يعود إلى كوستى ليتولى التحقيق مع المعتقلين الذين تم ترحيلهم إلى كوستى.

وتردد الانباء هنا ان عدد القتلى والجرحى اكثر مما اكتشفه البوليس اذ ان المزارعين اخفوا قتلاهم وجرحاهم وفروا من مسرح الاحداث، لم تعثر السلطات على جثة أي من القتلى لأنهم دفنوها في الحال .. وأغلب القتلى من (الحسينات) وبعضهم من (البرقو والرزيقات) وهناك اثنان من البوليس اصيبوا بجراح خطيرة اما الضابط محمد احمد على فقد كانت اصابته خفيفة ونقل إلى مدني ويقوم الان (١٥٠) جندياً من البوليس بحراسة المنطقة التى وقع فيها الاشتباك والتى تحيط بها قرى المزارعين التى اخلوها الان وفر بعضهم إلى اماكن أخرى.

(انتهى)

(ب) **خبر آخر:** (نفس العدد (٧٢٢) البوليس يفقد ثلاثة بنادق: اكتشف البوليس في كوستى أنه فقد ثلاثة بنادق في معركة امس ويعتقد ان بعض المزارْعين قد استولوا عليها وفى عطبرة قامت مظـــاهرات صاخبة قوامها العمال مؤيده لمزارعى النيل الأبيض ومستنكرة موقف الحكومة.

(ج) **مأساة النيل الأبيض:** اصدر وفد مزارعى النيل الأبـــيض المقيم الان بالخرطوم بياناً في الليلة الماضية ينفى فيه البيان الرســـمى عن حوادث جوده يقول البيان ان الناظر والعمد ذهبوا لجوده لمحاكمه المزارعين بعيداً عن أعين الرقباء فرفض المزارعون، فحدث ما حدث ولم يكن المزارعون مسلحين، كما اصدر طلبة النيل الأبيض في الكلية الجامعية بياناً يستنكرون فيه موقف السلطات ويؤيدون المزارعين.

(د) **كلمة الأيام: (نفس العدد): مأساة النيل الأبيض:** في أقـــل من عامين تعرضت بلادنا لأربع نكبات كبري راح ضحيتها عدد مـــن المواطنين أوشك أن يصل الألآف، ورغم اختلاف الظروف التى أدت لهذه الأحداث التى وقعت في الخرطوم أولاً وفى الجنوب ثانياً وثالثـــاً وفى النيل الأبيض أخيراً الا ان الرابطة تري أن هــذه هـــي سياســة الاهمال والارتجال وعدم التعرض لدراسة المشاكل والتعمق في البحث عن اسسها ورسم سياسة جريئة لمعالجتها .. ان هناك خطأ رئيسياً في طريقة مجابهة الحكومة للمشاكل واهمالها – حتى تستفحل وحتى تراق الدماء – ولا تصحو الحكومة وتستيقظ الا على قاعدة سداها ولحمتهـــا

دماء وجثث .. وهو وضع خطر لا يليق بحكومة انتخبها الشعب لتسهر على راحته لا نريد ان نستبق الاحداث اليوم لنحدد المسؤولية والتحقيق القضائى يدور في مكان الحوادث .. ولكننا نريد أن نسجل اليوم أن الاسلوب الذى يؤدي إلى اراقة دماء المواطنين لا يمكن ان يكون اسلوباً سليماً، بل هو جريمة كبرى نريد ان تتحدد المسؤولية على وجه السرعة وان يعاقب المسؤولين عنها عقاباً رادعاً وان نأخذ منها العبرة للمستقبل وكفانا دروساً كلفتنا ارواحاً ودماء وهذه الاحداث لا تقتصر خسائرها على الارواح التى تفقد ولكنها تصيب موقفنا الاقتصادى بإضرار خطيرة وتعرض سمعتنا إلى مخاطر جمة، ولن يتم تقدم اقتصادنا في بلاد يصيبها هذا القدر من البلبلة وعدم الاستقرار، والاستقرار الذى ننشده لا يقوم على الكبت والارهاب ولا حكم البوليس من ناحية، ولا يقوم على تجني الافراد وتهجمهم وفرض مطالبهم بالقوة، لكنه يقوم على العدل والانصاف الذى لا يترك المزارع تحت رحمة صاحب المشروع ولا يضحى بمصالحه وحقوقه من اجل الملاك ولا يعطى المزارع الفرصة ليتجني على اصحاب المشروع ولا يمكن ان يتم هذا الا اذا درسنا مطالب المزارعين وحققنا لهم كل مطلب عادل واهتممنا برفاهيتهم وتقدمهم وعدلنا القوانين واللوائح لتتناسب مع الظروف الجديدة.. ان الاستقرار لا يقوم الا على الحق والعدل ولا يمكن ان يقوم على التجنى والبطش، فاذا نظرنا إلى مطالب المزارعين التى تقدموا بها لاكتشفنا فوراً انها تنقسم إلى ثلاثة اقسام:

(١) مطالب تحتمل الدرس والمناقشة والحل الوسط ويبدو من بعضها مبالغة من المزارع ويمكن اقناعه بالتنازل عن جزء منها بالمفاوضة المباشرة مع ممثلية وفى هذا الباب تدخل المطالبة بستين في المائة من الدخل القومى الصافى (٦٠%).

(٢) مطالب اخري تتعلق بمواد صريحة من اللائحة لم يطبقها بعض اصحاب المشاريع ولم تراقبهم الحكومة وهذا حق قانونى مشروع لا يحتمل التسويق ولا المماطلة وعلى رأس هذه الطائفة من – المطالب: تأتى مطالبتهم بمراجعة الحسابات وهو حق كفلته المادة (٥٩) من اللائحة، وعدم التقيد بنصوص – اللائحة معناه مجاملة صاحب المشروع على حساب المزارع، أو الاهمال الذى يؤدى إلى سفك الدماء ايهما اختارت الحكومة.

(٣) اما الفئة الثالثة من المطالب تتعلق بإدخال تعديلات في اللائحة التى وضعت عام ١٩٤٧م وتقادم العمل بها والتعديلات التى يطلبها المزارعون مشروعة وعادلة.

فان اللائحة تنص على تكوين لجنة مشتركة من مفتش المركز وصاحب المشروع وممثل الحكومة المحلية – اى العمدة او الشيخ – وهذه اللجنة هى المسئولة عن تنفيذ اللائحة ولا يمثل فيها المزارع وهذا وضع شاذ ظالم مجحف .. وهذه اللجنة التى لا يمثل فيها المزارع هى التى تعين وتفصل لجنة المزارعين، وهذا ايضاً وضع

ظالم – والمزارعون يطالبون بان تكون لجنتهم اتحاداً لهـــم ينتخبـــون ممثليهم فيه بمحض اختيارهم وهذا حق مشروع .. هذه المطالب التى لاقت الاهمال قادت إلى النكبة وسنعود غدا لمناقشة هذه المشكلة.



(١) القتلي (١٥) والمعتقلون ستمائة:

نائب المدير والمفتش يزوران المنطقة اليوم لأول مرة.

<u>مؤتمر وطني يطالب بلجنة تحقيق ورفض المحاكم الاهلية ويقرر ارسال وفد من النواب والهيئات لزيارة المشاريع، في الخرطوم:</u> قرر مؤتمر شعبي عقده مزارعو النيل الأبيض برئاسة العبيد عامر رئيس الاتحاد ارسال وفد من الهيئات والبرلمان للمنطقة ومطالبة الحكومة بتأليف لجنة تحقيق محايدة، وعدم عرض القضايا على المحاكم الاهلية وفى كوستى ارتفع عدد المقبوض عليهم إلى ستمائة متهماً وارتفع عدد القتلى إلى خمسة عشر وأصدر مدير النيل الأزرق أمراً بمنع المواكب في كل مراكز المشاريع بمديريته ويقول الرشيد بحيرى مندوب الأيام بكوستى:

(يواصل البوليس اعتقال المزارعين المتهمين بالاشتراك في حوادث جودة الدامية وقد تم خلال الاربعة وعشرين ساعة الماضية اعتقال (٢٧٥) وبذلك ارتفع العدد إلى (٦٠٠).. وقد اخذ عمال اللقيط في مشروع جوده اليوم يواصلون عملهم. وقد وصل اليوم إلى كوستى السيد عوض حامد جبر الدار مدير النيل الازرق واجتمع لفترة طويلة بالسيد مفتش المركز عباس بابكر وتقرر ان ينتقلا غداً (اليوم) إلى جودة مقر الحوادث للاطلاع على مجرى التحقيق والاجراءات التى يقوم بها البوليس، وتشير كل الأقوال التى وردت في التحقيق حتى

الان والشهادات التى سمعتها من الذين شهدوا الحوادث بأن بعض المزارعين قد بادروا باستعمال العنف قبل البوليس؟ ومهما يكن من أمر فهذا متروك لنتيجة التحقيق، في الخرطوم هذا وقد عقد وفد مزارعى النيل الأبيض برئاسة العبيد عامر – عقد مؤتمراً ليلة أمس حضره مئات من المواطنين من مختلف الهيئات السياسية والاندية والطلبة، كما حضره النائبان البرلمانيات حسن الطاهر زورق ومجذوب ابو على وبعد ان شرح رئيس اتحاد المزارعين العبيد عامر قضيتهم تعاقب ممثلو الهيئات في تأييد المزارعين وتقديم الاقتراحات لحل المشكلة ثم اتخذت القرارات الاتية:

(١) تأييد مطالب المزارعين.

(٢) قيام وفد من الهيئات المختلفة والمحامين والصحافة والنواب والشيوخ للطواف بمشروعات النيل الأبيض للوقوف على حقيقة الامر.

(٣) المطالبة بأن تكون المحاكمات في محاكم غير المحاكم الاهلية على ان يحضر القضايا محامون يدافعون عن المزارعين.

(٤) المطالبة برفع الارهاب الحالي عن المنطقة.

(٥) المطالبة بقيام لجنة تحقيق محايدة.

(٦) ان يباع القطن بالمزاد العلني في نفس منطقة زراعته كما يفعل في طوكر لاطمئنان المزارعين.

(أ) كلمة الايام: نفس العدد (٧٢٣) تاريخ ١٩٥٦/٢/٢٢م، الفوا لجنة للدراسة وقد وعدنا أمس ان نعود مرة اخرى لمعالجة مشكلة مزارعى النيل الأبيض – بعد ان طالبنا أمس بتحديد المسؤولية ورسم سياسة واضحة ودراسة المشاكل دراسة صحيحه وابنا وجهه نظرنا في مطالب المزارعين، ومما يدعم وجهة نظرنا في ان الحكومة لا تستيقظ الا على قارع طبول الحرب، وانها تقابل المشاكل بسياسة الاهمال والتجاهل، ان مجلس الوزراء لم يجتمع حتى هذه اللحظة ليبحث الموقف ولم تبلغ الانباء في جلسه رسمية لاعضائه ولابد ان عذر مجلس الوزراء عدم استيفاء المعلومات – رغم ان اكثر هذه المعلومات قد وردت ورغم ان خمسة بيانات رسمية قد صدرت عنه، ورغم ان عريضه تحوي مطالب هؤلاء المزارعين قد رفعت لجهات الاختصاص قبل عشرين يوماً.

اننا نعتبر مسلك مجلس الوزراء برهاناً أخر على سياسة الاهمال والارتجال التى نشكو منها وليس من مصلحة احد ان يعالج الموقف بهذه الطريقة، وليس من مصلحة احد ان يعالج بالعاطفة وان يحاول الناس تبرير الاخطاء – بان المزارعين اجانب – فهذه اراء خاطئة لقد قلنا بالامس ان الاستقرار لا يتم الا بالعدل والانصاف وكفالة حقوق الجميع: مزارعين وملاك مشاريع، ولهذا فاننا نقترح اليوم ان تؤلف لجنة لتبحث في السياسة التى تسير على هديها هذه المشاريع ولتعدل اللائحة القائمة اليوم حيثما كان ذلك ضرورياً وان

يلاحظ في تكوين اللجنة توفر الحياد والعدالة، فنحن لا نريدها لجنة متحيزة ضيقه الافق تمالئ هذا الجانب أو ذاك ..

اننا نعتقد ان في اللائحة مواد تستدعي التعديل والتغيير وقد تقادم عليها العهد ولم تعد صالحه لتتحكم في العلاقة بين الفريقين، ولابد ان تهتم هذه اللجنة بوضع مواد تكفل تنمية روح المفاوضة لتحل الديمقراطية مكان العنف – حتى يعرف المزارع الطريق الصحيح لمناقشة مطالبه حسب القوانين لا بروح الانتقام والتجني واهم عامل في تنمية روح المفاوضة الجماعية هو قيام هيئات تمثيلية للمزارعين منتخبة بمحض ارادتهم، وتعمل وفق دستور، وتفاوض اصحاب المشاريع بالنيابة عنهم .. اعطوهم المتنفس الديمقراطي الطبيعى، وعمقوا فيهم روح المفاوضه والاخذ والرد حتى تحل المشاكل بالمحادثات لا بالحراب والفؤوس.

وثمة شيء اخير لابد ان يتوفر في المسؤولين في هذه الفترة من حياتنا؟

لابد ان يتذكروا بان الحكومة ليست هيئة متسلطة تستطيع ان تفرض رأيها بقوة الحديد والنار، تحارب الذين يختلفون معها بالسجن والموت ولكنها هيئة تنظم حياة الناس بالعدل، لا بالتسلط والتحكم في مصائرهم بالقوة، واخيراً، فاننا نريد ديمقراطية قومية ،لا بيروقراطية متعنته، ونريد مواطنين يعرفون واجباتهم تماماً، كما يعرفون حقوقهم، ونريد حياه مستقره على أسس من الاخاء والمصلحة المتبادله واحترام حق الاخرين .. وهذا لا يتحقق بالحديد والنار.

١٩٤ يموتون اختناقاً في كوستى:

اقتراح في مجلس الوزراء باستقالة الحكومة الحاضرة فوراً رئيس القضاء ووزيران يسافرون لكوستي ويعودون – الموت كان نتيجة للوضع السيئ الذى كان فيه المزارعون: شهدت كوستي أمس الكارثة الثانية عندما مات (١٩٤) من مزارعى النيل الابيض جراء الاختناق في العنبر الذى سجنوا فيه واجتمع مجلس الوزراء لاول مرة منذ وقوع الحوادث، انتدب السيدين امين السيد وزياده ارباب اللذين سافرا وعادا ليلاً واجتمعا على اثر عودتهم برئيس الوزراء في مكتب العمل وصدر البيان المنشور في غير هذا المكان.

وقد وصلت الانباء صباح الأمس بانه عندما فتح العنبر الذى يضم مئتين وواحد وثمانين معتقلاً وجد عدد منهم ميتاً واخذ العدد يرتفع على اثر ذلك حتى وصل عدد القتلي (١٩٤) وظهر من الكشف الطبى الذى أجراه الدكتور منصور على حسيب على ثلاثة جثث ان اسباب الوفاه تعود إلى ضربه حرارة (Heat Stroke) وهذا معناه الاختناق من شدة الحرارة والاجهاد هذا وسيرفع الدكتور منصور تقريراً مفصلاً وقد عاد مساء امس من كوستي الوزيران والدكتور منصور والسيد محمد احمد ابو رنات وبقى هناك الوكيل الدائم للداخلية ومدير البوليس وقد كان العنبر الذى وضع فيه المعتقلين ضيقاً، وكانوا مجهدين بعد مطارده البوليس، مما ادى إلى ضربة الحرارة التى قضت عليهم.

صدر البيان الرسمي التالي عن الحادث:

عاد في الثامنة من مساء اليوم (أمس) من كوستى السيد/أمـــين السيد وزير الصحة والسيد زيادة ارباب وزير الشئؤون الاجتماعية بعد ان تفقدا الاحوال وتعرفا على تفاصيل الحوادث هناك كما عاد ســعاده رئيس القضاء. وحقيقة الامر ان البوليس ارسل بالعربات من مشروع جوده (٢٨١) متهماً بغرض التحقيق معهم في كوستى ووصلوا إليهـــا في الثامنة من مساء الامس وادخلهم البوليس فور وصولهم احد العنابر الجديدة المخصصة لسكن الجيش .. وعند اخراجهم صباح اليوم وجــد مع الاسف الشديد ان (١٨٧) شخص قد فارقوا الحياة ووجد (١١) في حالة خطيرة سيئة مات اثنان منهم في المستشفى وبلــغ بــذلك عــدد الموتى (١٨٩) شخصاُ ومن المعتقد ان سبب الوفاة ضربة حرارة وان مجلس الوزراء اذ يكرر عزاؤه يؤكد انه ســوف يتخــذ الاجــراءات اللازمة لتحديد المسؤولية باقصر سرعة ممكنة كمـــا ســيتم التحقيــق لمعرفة اسباب الحوادث على وجه السرعة.

وكانت قد غادرت الخرطوم في الساعة الثانية والنصف مــن بعد ظهر امس طائرة خاصة تقل حــضرات الــسادة/ محمــد احمــد ابورنات رئيس القضاء وامين السيد وزير الصحة الكيميائى ومحمــد الشايقي الوكيل الدائم للداخلية واثنين من معاونى مدير المعمل والــسيد امين احمد حسين مدير عام البوليس.

انتهي

على اثر التطورات المفجعة بكوستى سافر بعربة خاصة امس الاستاذ بشير محمد سعيد لينقل إلى قراء الأيام المزيد من التفصيلات أولاً بأول.

(د) كبير الأطباء وأربعة اخرون:

غادر مدنى إلى كوستى الدكتور عبد الحليم محمد كبير اطباء حكومة السودان والذى كان في زيارة لمدنى وكذلك الدكتور ابراهيم احمد حسين باشمفتش طبي مديرية النيل الأزرق وكان قد سافر إلى كوستى من قبل الدكتور مغربى جراح مستشفى مدني كما ارسلت وزارة الصحة امرها امس للدكتور فائز امين السني طبيب مستشفى الدويم ان يسافر إلى كوستى وكذلك الدكتور الضي من مستشفى سنجه.

(و) الي كوستي:

قرر عدد من نواب وشيوخ الاحزاب المؤتلفة وخمسة من المحامين السفر اليوم إلى كوستى للاطلاع على مجريات الحوادث ومواساة اسر المنكوبين.

(ز) كلمة الايام نفس العدد ص (٥)

لتذهب الحكومة:

* قبل ان تندمل الجراح التى خلقتها احداث جودة المشؤومة، وقبل ان تنتهى اثار اللوعة والآسي الذي اصاب البلاد من نكبة المزارعين في النيل الأبيض، اذ بالاحداث تسجل امس

نكبة اخري اشد هولا واعظم شأناً .. لقد قضى مئتان من المزارعين الابرياء نحبهم في سجن كوستى .. ماتوا ميته الضأن وكانهم قطيع من الحيوان او شرذمة من الحشرات الفتاكه الضاره لا بشراً ككل البشر ولا أناساً جديرين بالحياة – حتى ولو في غياهب السجون.

قد تقول الحكومة انهم ماتو بفعل الاجهاد، أو انهم قضوا من اثر الاختناق الناتج من الحرارة والازدحام، وقد تصدر البيانات تحمل اسفها العميق او حزنها الاكيد، ولكن لن تنفى حقيقة واحدة هي: ان مائتين من المواطنين السودانيين الابرياء – قد قضوا وماتوا بفعل الاهمال الشنيع والعبث والاستهتار – سواء اكان ذلك من جانب الحكومة المركزية التى تشرف على الحكم في البلاد، أو من جانب المسؤولين والسجون، وكل من له شأن بهذه المذبحة البشرية البشعة والتى ستبقى بقعة سوداء في تاريخ السودان وسُبه في جبين هذه الحكومة.

* ان الكارثة التى وقعت امس في كوستى لتعد بحق من ابشع ما عرفت الانسانية في تاريخها الحديث ومنذ ان اصبح الانسان انساناً يفرق بينه وبين السوائم.
* لقد اصبحت حكومة السودان حكومة هتلرية اخري، ذلك لان التاريخ البشري الحديث لا يحدثنا عن موت مئات بالاختناق في السجون الا في عهد هتلر .. بل لعل التاريخ قد يغفر لهتلر

انه كان يقصد، يعنى ان يبيد من ابـــاد بالاختنـــاق .. ولكنـــه سيسجل على حكومة السودان القائمة انها قتلت بالاختناق دون ان تعي، وابادت المئات دون ان تقــصد، وحــصدت الارواح دون ان تعلم .. وهذه عندنا اعظم خطراً واشد هولاً وقد كان هتلر واضحاً فيما فعل، وكان عليه – خطأ أو صواباً ان يـــرد على ما يوجه إليه من نقد – ولكن حكومة السودان، لا تملـــك اليوم الدفاع عن نتائج اعمالها وكوارث اهمالها.

* ان هذا الذى حدث امس في كوستى لو وقع فـــي أي مكـــان، لكان كفيلاً باقالة الحكومة القائمة مودعه بالسباب واللعنات .. ولكننا في بلد اختلت مقاييسة حتي اصبحت دماء البـــشر فيـــه اهون من ان يحسب لها حساب.

اننا لا نطالب بتحقيق وحسب، بل نطالب بدعوة البرلمـــان علـــى عجل ليحاسب الحكومة حساباً دقيقاً على هذه الكارثة ويتخـــذ قـــراره بالنسبة لموقف مجلس الوزراء الذي لم يعقد اجتماعـــاً منـــذ وقـــوع الحوادث الا صباح الامس، وليسحب الثقة مـــن هـــذه الحكومـــة او فلتستقل وتريحنا من النكبات.

(ا) بشير محمد سعيد يروى حقائق مأساة كوستى:

* يطلبون الماء والهواء فيسخر منهم البوليس
* القاضى يطلق سراح نصف المتهمين ويرحلون الى قراهم
* المحامون يسيرون فى موكب لمجلس الوزراء ويطالبون باستقالة الحكومة
* ثلاثة من السجناء يصفون المأساة لــ (الأيام)
* أطلق القاضى عبد الرحمن النور امس سراح (٣١٢) من معتقلى مشروع جوده وبقى فى السجن (٢٣٦) ما زال التحقيق جارياً معهم، وبدأ قومندان البوليس التحقيق مع رجال البوليس المسؤولين عن المأساة تحت اشراف القاضى ومدير البوليس ووصل ضابط المباحث زيادة ساتى للتحقيق فى كل القضية وسيفرغ غداً وقد تحدث بشير محمد سعيد الى أولئك الذين نجوا من الموت فكتب يصف مأساتهم المريعة فقال:

بدأ صباح اليوم (أمس) التحقيق فى الاسباب التى ادت الى مقتل (١٨٩) رجلاً من مزارعى مشروع جوده الذين القى عليهم القبض على اثر الصدام الذى وقع يوم الاحد، وقد تأكد بصفة غير رسمية ان هؤلاء الرجال ماتوا بالاختناق ودفن كل عشرة منهم فى مقبرة واحدة .. ولم تقم لهم المراسيم التى تقام عادة للموتي وعلمت ان هؤلاء الضحايا ومائة اخرين القي عليهم القبض مساء الثلاثاء بمنطقة

جودة ونقلوا الى كوستى وانزلوا فى معسكرات جديدة تعدها السلطات هنا لفرقة الجيش التى تقرر انشاؤها بكوستى.

قبور الأحياء:

وادخل هذا العدد الضخم من المعتقلين فى حجرة مساحتها ١٢٠ متر مربع أي بمعدل أقل من نصف متر مربع للشخص الواحد وكانت جميع النوافذ محكمة الاغلاق، وقد حاولوا فى بادئ الامر الخلاص من هذا الحال، واستعانوا بالحرس الذى كان خارج العنبر ولكن دون جدوي. فحاولوا تكسير النوافذ وتحطيم الابواب فعجزوا وقد وجد الدليل فى ايدى الموتي واقدامهم المجروحة – الدامية – وقد زاد فى الاشكال ان العنبر كان مظلماً، خانقاً، مما جعلهم يتخبطون فى النهاية دون هدي.

ميته شنيعة:

وقد مات بعضهم وهو جالس القرفصاء أو منكباً على وجهه أو متعلقاً بتلابيب رفيقة. وعلمت ان على رأس الذين اشرفوا على ادخالهم السجن ضابط البوليس وضابط السجن وعجبت فقد حوي هذا المعسكر عدداً كبيراً من الحجرات كان يمكن ان يوزعوا فيها وتمكنت من الحديث مع ثلاثة من الذين رغم نجاتهم من الموت باعجوبة فان الخطر مازال محدق بهم .. تحدثت اليهم فى المستشفى حيث يحاول الاطباء انقاذهم وكان محدثى الأول هو محمد جديد مسيرى، لقاط.

وكان يتحدث فى مشقة وعسر حتى كنت اشفق عليه فاتم ما يبدأ فيوحي بالموافقة .. قال: ان البوليس جاء بهم الى ذلك السجن ولم يسمح لهم الا بكوب ماء .. وكان هو قد ظل بلا طعام اربعة أيام كاملة .. ولم يسمح لهم البوليس باي طعام .. ثم قال: بانهم كانوا يرقدون فوق بعضهم البعض .. ثم قال: بانه فقد وعيه بعد قليل ولم يصح الا فى المستشفى صباح أمس.

موتوا مرة واحدة:

* ويواصل الاستاذ بشير حديثه مع الذين خرجوا من المجزرة باعجوبة..

وكان محدثي الثاني هو حسين محمد، برقاوي، لقاط، من حله "مجمجم" وكان مجهداً كزميله ولكنه قال فى اعياء: انهم كانوا يصيحون "ادونا مويه .. مويه يا مسلمين" ويجيئهم الرد من خلف الاسوار "موتوا مرة واحدة" وقال: ان العرق ظل يتصبب من اجسادهم حتى فاض به بلاط العنبر واكد هذه الرواية احد الممرضين الذين اشرفوا على نقل الجثث، ومضى الذى نجا من الموت قائلاً: انهم بعد الاستغاثة حاولوا كسر النوافذ ولكنهم فشلوا .. وكانوا فى كل محاولة يسمعون نفس الرد (موتوا مرة واحدة) اما الممرض فقد اضاف انهم لم يستطيعوا التمييز بين الموتى والاحياء الا بعد لأي .. وكان محدثي الثالث هو محمدين، برقاوي، مزارع

وقد جاء حديثه مشابها لزميله الا أنه اضاف: انه عندما ساء الامــر وبلغ اليأس مداه اصيب بعض زملائه الــذين استــشهدوا بموجــه هستيرية (جنون) وكان الواحد منهم يقفز على اجــساد الآخــرين أو جثثهم ثم يقع صريعاً صارخاً صرخة الموت .. وقال محمد هذا في اسي ولوعه: انه ام يستطيع ان يقدم اى عون لرفاقه الذين ماتوا فقد كان اضعف من ان يفعل شيئاً، حتى وقع مغشياً عليه الى ان صــحا فى المستشفى.

(ب) ارخ خبر: موكب المحامين:

عقدت نقابة المحامين اجتماعاً صاخباً فى الليلة الماضية قررت فيــه ان يسير كل المحامين فى موكب صباح اليوم (السبت) غــداً الــى مجلس الوزراء ليسلموا الرئيس مذكرة تستهجن موقف الحكومة فى مجزرة كوستى وتطالب باستقالتها فوراً .. وقرر المحامون كــذلك المطالبة بإلغاء القوانين المقيدة للحريات ومواد قانون العقوبات التى اقر البرلمان الغاءها.

(ج) مظاهرات فى العاصمة: العمال والمزارعين يستعدون للتظاهر غداً:

اجتمعت مجالس ادارات اتحاد نقابات العمال اجتماعاً مسا أمــس الأول وحضر الاجتماع وفد من اتحاد مزارعى النيل الأبيض برئاســة الشيخ العبيد عامر والموجود الان بالخرطوم وبعــد بحــث الحــوادث الأخيرة فى كوستى، اتخذت مجالس الادارات القرارات التالية:

١/ ان يقف جميع العمال عن العمل داخل مكان اعمالهم لمدة (٣٠) دقيقة من الساعة الثانية عشر ظهر السبت احتجاجاً واستنكاراً على قتل المزارعين.

٢/ ان يخرج العمال جميعهم في كل انحـــاء الـــسودان فـــي مظاهره بعد الثانية ظهر السبت بملابس العمل تضامناً مع رصفائهم المزارعين.

٣/ تأييد وتنفيذ قـــرارات المـــؤتمر الـــوطنى الـــذى عقـــده المزارعون بنادي عمال الخرطوم يوم ٢١ الجارى.

٤/ اعلان الاضراب العام لجميع عمال السودان ثلاثـــة ايـــام احتجاجاً على سياسة التجاهل التى تتبعها الحكومة لمطالب العمال علـــى أن تجتمـــع الهيئـــة العامـــة يـــوم الاحـــد ١٩٥٦/٢/٢٦م لتعلن تنفيذ الاضراب .. هذا وقد انتظمت امس في العاصمة والاقاليم عدة مظاهرات تأييداً لمزارعى النيل الأبيض واحتجاجاً على مأساة المزارعين والتى ادت إلى موت أكثر من مائتى من المـــزارعين امـــس بعنبـــر كوستى.

افادات شاهد عيان: (الممرض السر عمر بابكر) اطال الله عمره،

يقول السيد السر عمر بابكر في افادات عن احداث (عنبر جوده) الاتي:

في تمام الساعة العاشرة صباحاً وصلت المستشفى بعد الفطور ووجدنا جمهره من المواطنين داخل المستشفى وبعد السؤال عرفنا بان اختناقاً حدث لبعض مواطنى جوده داخل عنبر الجيش المبنى حديثاً، وفعلاً وجدنا المرضى بالاختناق وفاقدين سوائل وقد اعلنت ادارة المستشفى حالة الطوارئ على الفور لانقاذ هؤلاء المواطنين. وبسرعة عملنا الدربات بالجلوكور والتغذية بالفم. وقد احضر المواطنون الخيرون بكوستى كميات وافره من السكر والليمون والثلج لتعويض ما فقدوه من سوائل ..وفى نفس اللحظة صدرت التعليمات من ادارة المستشفى بالذهاب فوراً إلى (العنبر) لانقاذ ما يمكن انقاذه وبالفعل توجهنا إلى مكان العنبر وكان التيم الذى ذهب برئاسة الدكتور (تومى المصرى) وبعض الدكاتره والممرضين باسعاف المستشفى عند وصولنا لمكان الحادث وجدنا بعض افراد الشرطة خارج البوابة لمنع أي زول من الدخول وقد سمحوا لنا بالدخول عندما رأوا عربة الاسعاف وتعرفوا على هويتنا عند دخولنا وامام باب العنبر لاحظنا وقوف عربه (كومر) بيرفعوا فيها الجثث بطريقة جماعية يتألم لها الانسان المسلم.

* عند دخول العنبر وجدنا شيء يهتز له الضمير الانسانى: الموتى بالعشرات وراقدين فوق بعضهم البعض ولا توجد أي

فرقة (مسافة) بين الزول والثانى والشيء الملفت والذى ألمنــا أشد الألم مشاهدتنا لعريس وفى يده الجرتق والحناء راقد على ظهره ميتاً في ركن من اركان العنبر.

* والشيء الملاحظ ايضاً وجود كمية هائلة من العرق امــتلأت بها جوانب العنبر وعندما كنا لابسين الاحذيــة الباتــا كانــت الاحذية تلتصق تمام بالبلاط بفعل العرق اللزج، بعملية الحراك للجثث وجدنا بعض المواطنين احيــاء فــي الرمــق الاخيــر فأخذناهم فوراً إلى المستشفى وتم اسعافهم بواســطة الــدكاتره وزملائى الممرضين وكنا في حالة طوارئ لمدة (٢٤) ساعة متوالية في اليوم حتى كتب الشفاء لمن بلغ الصحة.

كان من الزملاء الذين لهم عظيم الشرف في إنقاذ بعــض المــواطنين والذين أسعفتنى الذاكرة بإستحضار أسمائهم من الأحياء هم:

١/ محمد أحمد عبد الرحمن　　٢/ على بابكر
٣/ محمد الشيخ (شكيمي) موجود الآن ببحري
٤/ عبد الباسط نافع　　٥/ عبد الله محمود كجل
٦/ عبد اللطيف هجام　　٧/ موسى احمد
٨/ عبد العدل محمد نور　　٩/ محمود حامد
١٠/ عوض بابكر (الافريقى)　　١١/ الطيب عائد
١٢/ رحمة الفكى　　١٣/ الحاج عبد الله مسعود

١٤/ محمد جمعة حلاوتو
١٥/ يعقوب عباس
١٦/ عبد ربه عبد القادر
١٧/ محمد حسين موسى
١٨/ محمد الاميسن سعيد
١٩/ سليمان عبد الله
٢٠/ السر عمر بابكر
٢١/ آدم الطيب
٢٢/ محمد خالد ابوبكر
٢٣/ محمد احمد عبد الرحمن
٢٤/ النور عبد التام
٢٥/ عبد الله الفكي حسن

ومن الذين توفاهم الله:

١/ الاستاذ حاج الرشيد حمزة كوكو (استاذ التمريض بالمستشفى)
٢/ عوض الله يوسف
٣/ الطيب محمد زين
٤/ بدوى زكريا
٥/ الحاج محمد الحاج
٦/ عبد الرحيم برسلوم
٧/ حسين حمود
٨/ الزبير محمد سليمان
٩/ على ابراهيم الحبشي

ومن الزميلات الممرضات:

١/ الست فهيمة
٢/ الست فاطمة اسماعيل
٣/ الست فاطمة الفكى
٤/ الست سعاد بلال
٥/ الست هدية
٦/ الست دار النعيم موسى

ومن الأخوة عمال المستشفى:

١/ الطيب ناصر
٢/ عبد الله العوض
٣/ الحاج مختار
٤/ الخير نور الدائم
٥/ عبد الكريم (كمل نومك)

احداث عنبر جودة

أما بعد ..

ليس المقصود بالطبع من فتح ملف شهداء جوده في ذكراهم السابعة والاربعين واحتفاؤنا بها لاول مرة في كوستى في فبراير ١٩٧٠م، وبعد الانتفاضة الشعبية في فبراير ١٩٨٦م بمدينة كوستى، وفى موقع الاحداث بجودة ليس المقصود بالطبع التقليل من شأن، أو ازدراء رواد الاستقلال الاول. فمواقفهم التاريخية وتضحياتهم من أجل نيل استقلالنا (المبرأ من كل عيب) مشهودة ومعلومة، فقد كانوا مخلصين وأمناء وصادقين وغيورين ومندفعين لانجاز الاستقلال باعجل ما يكون ليكتمل (التحرير) ومن بعد ينظر في (التعمير) وكانت هذه واحدة من بدايات الخلافات السياسية المشروعة بين القوى السياسية متباينة المشارب والاهداف. كما ان الغيرة والاخلاص والاستعداد لتقديم التضحيات وحدهما لا يكفيان، فالبرنامج السياسى – الاقتصادى – الاجتماعى ونتائجه الملموسة بعائدها هو الذى يرضى طموحات الجماهير المتعطشة لحياة ما بعد الاستقلال كما ان (نقدنا القاسي) لقادة الحركة الاستقلالية الأُول ومن جاء بعدهم عن طريق

صناديق الاقتراع أو الاستيلاء على السلطة (بفوهة البندقية) – سيظل هذا النقد باقياً – مع طرح البدائل لنظام حكم وطنى ديمقراطى راشد ومستدام في عصرنا هذا لانتهاج سبل التطور الاقتصادى والاجتماعى، طالما كانت هنالك طرق وسبل مغايرة تقود حتماً لرفاهية شعب السودان وتعزيز استقلاله الوطنى – في مرحلة ثورته الوطنية – الديمقراطية والتى مازالت تراوح مكانها لما يقارب نصف قرن من الزمان تخبط في البرامج الغير علمية وخطط اقتصادية غير مدروسة الشيء الذى لم يخرجنا حتى يومنا هذا من ازماتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستدامة. ولان تقدم السودان وازدهاره بكل مكوناته الاقتصادية يكمن ولامد بعيد. في ثورة الاصلاح الزراعى بافاقها الاجتماعية الواسعة وعدالتها الرشيدة بلا اختلال وتطفيف في الموازين من أجل كل الشعب السودانى.

كل ذلك مُوجه أيضاً لاجيال الحاضر – حتى لا يسدل عليها ستار النسيان وحتى لا يفتأت عليها كذباً في محاولات نراها يومياً لتزوير التاريخ ووقائعه .. ولكيما تفكر هذه الاجيال بعقل مفتوح وسعة صدر. لتتأمل بعمق في حاضر ومستقبل الوطن السودان – دون تعصب اعمى أو ادعاء اجوف رافعة لشعارات تخطاها الزمن الذرى. والتى لن تجد لها ارضاً تقطع في سودان التعدد والاثنيات – حتى وان تمزق إلى دويلات .. لكن لماذا لا يكون السودان الوطن الواحد بما قد كان وما سيكون .. وطن شامخ وطن عالي .. وطن خير ديمقراطي ..

أثناء بحثي وتنقيبى ومقابلاتى مع من بقى على قيد الحياة من شهود العيان لمجزرة جودة لاعداد وتجهيز هذا الملف - لفت انتباهى بحق المقال الرائع للدكتور العالم عبد الرحيم بلال بعنوان (الاستقلال والازمة المستدامة) الكاتب المحترم ومن موقع العلم والوطنية الحريصة اعمل فكرة الرصين - بانفعال فكرى (منتج) وشرح بمبضع العالم المقتدر جل ازماتنا السياسية - الاقتصادية والاجتماعية المستدامة منذ الاستقلال وحتى يومنا هذا بالتركيز على الاهمال الواقع على الطبقات المنتجة وفى مقدمتها فئات المزارعين الكادحين في كل المواقع بالسودان .. وطالما تطرق لازماتنا المستدامة فقد أولى هذه المأساة التى نحن بصددها - مأساة جوده) - اهتمامه ايضاً، وبأنفعال فكرى (منتج) وليسمح لى دكتور عبد الرحيم ان اقدم هذا الجزء من مقاله سالف الذكر الذى صدر بجريدة الأيام الموافق ٥ يناير ٢٠٠٣م العدد (٧٥٦١) وياله من توارد خواطر!.

يقول د. عبد الرحيم: (ان اهمال المنتج الصغير في الريف تعبير غير صحيح في الواقع، اذ أن الاصح هو استنزاف هذا المنتج، بل محاربته وملاحقته بالضرائب والمكوس، بل قتله في احيان اخرى حين يطالب بحقوقه المهضومة وذلك في انحياز تام لكبار المستثمرين ومشاريعهم الكبيرة ان (استقلالنا) استمر في استنزاف المنتج الصغير في الريف على نمط النهج الاستعمارى وكما جسدت عبارة (تحرير لا تعمير) بداية الازمة السودانية المستدامة - كما أوضحنا - فان الابادة

الجسدية لبعض صغار المنتجين في الريف دقت ناقوس الخطر في الاسابيع الاولى لاستقلالنا في مطلع يناير ١٩٥٦م وهو الناقوس الذى لم يصمت منذ ذلك الحين ولكنه لم يبلغ اذان الجميع بعد، وهذا ما تبرهن عليه حادثة (عنبر جودة) وهى من أهم الاحداث في تاريخ السودان المستقل وان اصبحت من التاريخ المنسى أو المهمل والذى يجب على الاجيال الجديدة التى تبحث عن اسباب الازمة المستدامة للتعرف عليه وسبر أغواره إذ أن هذه الحادثة لم تكن منفردة بل هى معلم لنهج شامل وسياسات متصلة .. وتعود تفاصيلها إلى ان مزارعين من النيل الأبيض احتجوا على حرمانهم من استحقاقاتهم المتواضعة فقتل جزء منهم بالرصاص في المزارع واختنقت البقية عند اعتقالهم في (عنبر جودة) المظلم اللعين. حيث قذفوا فيه فرادى وجماعات فتكدسوا محرومين من الماء والهواء .. فزهقت ارواحهم وصعدت إلى بارئها وقد بلغ عدد القتلى رمياً بالرصاص او الاختناق والعطش المقصود مع سبق الاصرار (٣٠٠) برئياً وذلك في صبيحة الاستقلال، وبعد اسابيع فقط من الاحتفال به. وقد قضت امواج السياسة والديماجوجية الصاخبة على صوت الشاعر صلاح أحمد ابراهيم الذى نعاهم ورثاهم في قصيدته المشهورة (عشرون دسته من البشر) التى وصف فيها تعامل السلطات الظالم والقاسي والمميت وكأنهم حزمة جرجير في سوق الله أكبر .. يغدق عليها العطاء بالماء والهواء .. في حين إن حزمة جرجير (عنبر جودة) حرمت من الماء والهواء .. نقول

مرة أخرى إن حادثة (عنبر جودة) لم تكن حادثة منفردة كما يدّعى البعض اليوم. لقد بدأنا إستقلالنا بهذه الصفحة السوداء بظلم المنتج الصغير ووأده. وتوالت الصفحات السوداء لتتكامل معها صفحات الأزمة المستدامة حتى يومنا هذا .. إنها الديمقراطية الليبرالية ..نقيض الديمقراطية الاجتماعية .. التى يجب أن نسعى إليها بجد لأن أهدافها الاجتماعية هى التى تحدد البناء الاقتصادى وهياكله والبناء السياسى وهياكل الحكم التى خرج أمر تحديدها وتشكيلها من بين أيدينا .. لينتقل إلى مشاكوس الكينية ممسكة به أيدى الوسطاء والخبراء من غير السودانيين).

يواصل د. عبد الرحيم بلال (تشريحه) لازماتنا المستدامة بلغة العلم والأرقام وبانفعال العالم المنتج (بكسر التاء) انفعال منتج وليس سخط وعزوف وسب وشتائم ليكون الصوت الداوى الذى يجوب السماوات العلا ناشداً الاصلاح والتغيير، انفعال (منتج) وليس كلمات باردة مرصوصة خالية من تكنيك الكتابة ودفئها وحرارتها عندما تتعرض لقضايا الوطن الملتهبة وازماته المشتعلة أو تلك التى في طريقها للاشتعال بالاسلوب الخطابى البارد والركيك الذى يثير الاشمئزاز والقرف، يواصل د. عبد الرحيم في تناوله لازماتنا المستدامة باسلوبة العملى والحيوى قائلاً ان استنزاف المنتج الصغير في الريف صار فعلاً اساسياً في السياسات الاقتصادية السودانية، إنه استنزاف تعدى المنتج (بكسر التاء) وعائلته .. فكانت النتيجة سوء

التغذية والجوع والإمراض المترتبة على ذلك بالابادة الجسدية البطيئة وهذا الاستنزاف يعنى بالطبع – استنزاف الموارد الطبيعية والتى هـى القاعدة الحياتية لهذا المنتج. فالتصحر يهدد اكثر من ٥٧% من اراضى السودان، والغطاء النباتى انحسر من ٢٥% فـي عـام ١٩٩٥م إلـى ١٢% في عام ٢٠٠٠م وان ٢٠% فقط من سكان الريـف يحـصلون على ماء نقي (!!) و٩٠% من الامراض الشائعة – خاصة في الريف – امراض منقولة بواسطة المياه غير النقية وفى شمال دارفور ٩٨% من الاطفال دون الخامسة و٨١% من الامهات يعانين من سوء التغذية ومازال السودان يحتل بجداره مكانة بين الدول الاقـل مـستوى فـي التنمية البشرية (١٣٩ من بين ١٧٣ قطراً) في يوليو ٢٠٠٣م بعـد ان كان قبل بضع سنين من بين العشرة دول الاقل مستوى فـي التنميـة البشرية وذلك بفضل استخراج البترول ولكن هذا الاستخراج لم يترك اثراً في حياة عامة الشعب .. إذ أن عدم عدالة توزيع الثروة مازال من السمات الاساسية للسودان الذى يستحوذ افقر ٥٠% من السكان علـى ٨% من المنتج الاجمالى المحلي بالمقارنة مع الدول الافريقية جنـوب الصحراء – حيث يبلغ نصيب افقر ٥٠% من السكان ٢٢% من المنتج المحلى الاجمالى وهى الدول التى نصفها بالتخلف وننظر إليها نظـرة دونية لغرور تمكن فينا (!).

ان لاستنزاف الريف وافقاره أثره البالغ على سكان المـدن – ليس نتيجة الهجرة من الريف إلى المدن – بل لأن الانتاج الزراعـى

هو عصب الاقتصاد السوداني والذى تدهورت صادراته إلى اكثر من ٨٠٠ مليون دولار قبل عقدين من الزمان ليبلغ اليوم أقل من ٥٠% هذه القيمة في العام الماضى ٢٠٠١ (!!) .. ولحق الفقر حتى كبار المنتجين، فكان اعسارهم نتيجة لملاحقات الضرائب والجبايات في عهد الانقاذ بينما بلغت ارباح القروض ٥٠% وفى المدن تتدهور ظروف المعيشة باضطراد. حيث تضاعفت تكلفة المعيشة عامة ٣٤ مرة في الفترة بين ١٩٨٩ – ١٩٩٩م وانخفضت قيمة الأجور في السلم الادني للخدمة المدنية في عام ١٩٩٥م إلى ٢٨% بالمقارنة مع عام ١٩٩٠م وانخفض التسجيل في تعليم الفقراء من ٧٢% عام ١٩٩٠م إلى ٥٢% في عام ١٩٩٨م واخفضت نسبة المعلمين المدربين في شمال السودان – ناهيك عن الجنوب – من ٧٥% في عام ١٩٩٠م إلى ٥٤% في عام ١٩٩٩م.

هذه بعض من همومنا وازماتنا المستدامة التى تعرض لها د. عبد الرحيم بلال ونحن نحتفل بعيد استقلالنا المجيد فى ذكراه السابعة والاربعين والتى توجها بواحدة من ازماتنا الكبرى (مأساة عنبر جودة) وما يعانية وعاناه المزارع المنتج الصغير من صلف وازدراء وصل حد القتل لنفوس بريئة.

اما بعد: فمثلما انفعل كل الناس الشرقاء فى كثير من أرجاء الوطن بتلك المأساة التى هزت الضمائر الحية، وخرج الشرفاء حيث انطلقت مظاهرات احتجاجهم العاتية والهادرة فى كل من كوستى

وسنار ومدنى والحصاحيصا والخرطوم وعطبرة وبورتسودان وكسلا ومشاريع القطن بدلتا القاش وجبال النوبـــة ودفعـــوا غاليـــاً ضـــريبة التضامن مع شهداء جودة، سجناً وتشريداً قاسياً فى ذلك الزمان شـــمل عمالاً وموظفين ومزارعين وتجار وسكرتيرى احزاب سياسية، كمـــا انفعل بها انفعالاً وجدانياً صادقاً فى ذلك الوقت الاخوة فى اتحاد الكتاب والفنانين التقدميين (اباداماك) وذلك فى اول احتفاء لنا بها فى فبرايـــر ١٩٧٠ وقدموا تلك (الاسكتشات) الرائعة لمسرحية (عنبر جوده) والتى ربما كانت من تأليف الاستاذ عبد الله على ابراهيم والاخ العزيز عبـــد الله جلاب لا ادرى ايهما فقد طال الزمان عليها وعلينا .. كما انفعلـــت بالمأساة ايضاً الاجيال اللاحقة من شباب كوستى – شـــباب انتفاضـــة مارس ابريل الخالدة – احتفوا بها ايضاً عقب الانتفاضة مباشـــرة فـــى فبراير ١٩٨٦م بنادى الخريجين بكوستى وفى قلب مـــسرح الاحـــداث بمشروع جودة (٥٥ – ٦٠ كلم من كوستى) وينفعل بها على الدوام – كلما اطلت المناسبة – كل الشرفاء من ابناء وبنـــات الـــوطن العزيـــز انفعالاً رفيعاً وباعمال الفكر عالى المستوى: رصداً للاسباب، ووضـــع الايدى، على مكامن (ازماتنا المستدامة) .. وتحديد انجع وسائل العلاج بجرعات العلم الذى تعاطوه لينتفع به شعبهم ومـــا يـــدعو للطمأنينـــة والفرح انهم يفعلون ذلك .. رغم (حصان طروادة) واســـوار المدينـــة والغبار .. الذى حجب النهار .. حجب المـــدائن والقـــري .. حجـــب المفاوز والقفار الا أن الشمس لن تتأخر عن الشروق غداً.

نداء .. نداء:

أما بعد: ماذا يرى شبابنا المثقف من كتاب ومخرجين سينمائيين ومخرجين مسرح وتلفزيون وكتاب سيناريو عندما يطلعون بامعان شديد ويتأملون فى واحدة من مأسينا الكثر التى ابتلانا بها حكامنا الوطنيون من ذوى القثربى وليس الحكام الاجانب .. ماذا انتم فاعلون اذا ما انفعلتم بهذا الحدث المأساة؟ الا تستحق هذه المأساة فى أقل القليل ان نبحث عن تلك المسرحية (عنبر جودة) وعن مؤلفها ومخرجها ومعد السيناريو اولئك الشباب من تجمع (أباد أمالك) الذين نهضوا بهذا العمل كأروع ما يكون فى ذلك الزمان البعيد رغم شح الامكانات وتواضع القدرات والتى كانت انتاجها مثلاً وتطويرها – ان كانت تحتاج لتطوير وتكنيك جديد بحسب معطيات ادوات ووسائل التطور الحديث – وربما تمخضت افكار ورؤي جديدة لهذا الحدث فى وجهة اخراجه عملاً فنياً تاريخياً ليكون الاجمل والاروع. كلنا أمل بأن هناك الكثير من أبناء وبنات الوطن المبدعين سيقدمون ما هو أروع فى شتى مجالات ابداعهم اذا ما انفعلوا بالحدث!

أخيراً: لمن يرغب فى المزيد من التوثيق والاستماع الى بعض من بقوا على قيد الحياة من الذين عاشوا لحظة بلحظة هذه المأساة – حتى اسدل عليها الستار – نحيل من يرغب فى ذلك الى العم احمد محمد محمد ابراهيم سكرتير اتحاد مزارعى مشروع جودة فى فترة

الاحداث وكان من ضحاياها: رصاص فى اماكن مختلفة من جسده افقده رجله اليمنى ويسير الان على رجل صناعية.

عنوانه ومكان عمله: أمام مجمع المحاكم بكوستى يجلس خلف طاولة يكتب ويصيغ العرائض لاصحاب المظالم – مثلما كان يفعل قبل نصف قَرن من الزمان يعرض حال ومظالم المزارعين لأصحاب الشأن وهو لا يحتاج لكثير تعريف ولمن يرشد عنه فسيمائهم دائماً على وجوههم .. العم احمد يمكن ان يرشد الى شيخ العبيد عامر والآخرين ولن يألوا جهداً مع باقى الأخوان.

إفادات شاهد عيان ومشارك فى الأحداث .. القائد النقابى البارز والمعاشي المتفانى ..

السيد/ فرح عثمان شرفي

كان السيد فرح فى ذلك التاريخ من أحداث جودة السكرتير العام لأتحاد لجان السكة حديد ورئيس اتحاد العمال بكوستى، وقد كان لعمال كوستى الأشاوس الدور النضالى المتقدم فى التضامن مع المزارعين الكادحين فى أبهى وأروع مواقف التحالف تعميقاً لقضايا المصير المشترك. فقد فتحوا دارهم لإستقبال مؤتمر مزارعى النيل الأبيض الأول وأووهم فى الدار طيلة أيام المؤتمر وبعد الاعتقالات الكثيفة والمحاكمات التى تمت للمزارعين وبعض العمال ساهموا وجادوا بما يستطيعون فى حملة التضامن من توفير للمواد الغذائية للمعتقلين

ومواصلة المظاهرات ورفع عرائض الاحتجاج للحكومة ولإتحاد نقابات عمال السودان وللنقابة المركزية لعمال السكة حديد بعطبرة وإتحادات المزارعين بالسودان. كان السيد/ فرح عثمان شرفى واحد من الذين ساهموا فى كل ذلك بل كان فى مقدمة الركب دون خشية أو تهيب أو خوفاً من أذى يصيب الذات الفانية ونال شرف ووسام المساهمة فى تلك الأحداث بإعتقاله وتقديمه لمحاكمة عسكرية بإعتباره واحد من أكبر المحرضين للمزارعين – أطال الله عمره –

يقول السيد/ فرح فى إفادته المكتوبة لنا عن تلك الأحداث قائلاً:

أ/ أحداث جودة وأسبابها.

ب/ صلة إتحاد العمال بإتحاد المزارعين

قبل الدخول في توضيح الأسباب التى أدت لمجزرة جودة أرى من الواجب توضيح ما هى الصلة بين اتحاد العمال وإتحاد المزارعين بفهمنا لقضية التحالف بين الكادحين المستغلين من قبل رأس المال في أي موقع واستغلالهم للعمل المأجور – كان واجباً وإلزاماً طبقياً علينا أن نعمل مع قيادات المزارعين لتنظيمهم وتوحيدهم لتكوين إتحاداتهم ولأن ذلك يعني بالنسبة لتجاربنا الخاصة منذ بدايات التكوين الأولى لتنظيم وتوحيد عمال السكة حديد في هيئة شئون العمال وتوحد الكادحين في كل أرجاء العالم ضد الإستغلال الرأسمالى يعني الكثير .. يعني بدايات الوعي الطبقى للإمساك قوياً بالحقوق والمطالبة بها دون تردد أو خوف أو وجل. ولأن الكادحين لن يفقدوا في النهاية أي شيء

غالى وعزيز في الحياة سوى أغلالهم وقيودهم التى كبلوا بها على مر التاريخ البعيد والقريب ليكسبوا عالماً بأسره.

وهكذا عملنا فى حدود قدراتنا وإمكانياتنا وطاقاتنا الفكرية المكتسبة في تقديم القليل جداً من الوعي كيما يساعد في تحسين أوضاع رفاقنا المزارعين الكادحين.

كانت للمزارعين في جودة قضية وهى تأخير صرف حسابات القطن لأعوام خلت تزيد عن الموسمين أو الثلاثة مواسم وأرادت إدارة مشروع جودة ترحيل قطن الموسم الجديد، فطالب المزارعون بتصفية الحسابات القديمة لكن إدارة المشروع لم تستجب لهذا المطلب العادل. أمام هذا الموقف المتعنت حضرت قيادة لجنة المزارعين لإجتماع بنادى العمال بكوستى ونتيجة للتحضير الجيد فقد جاء للإجتماع ألاف المزارعين من شتى الانحاء. وكان قرار الاجتماع العام الذى أجيز بالإجماع: كتابة عريضة توضيحية شاملة تطالب بتصفية حساب السنين الماضية وتسلم هذه العريضة فى موكب الى مكتب مفتش كوستى. خرج الموكب من دار العمال واشترك فيه العمال مع المزارعين وكثيراً من مواطنى كوستى. ساروا جميعاً في موكب سلمى يحمل العريضة المجازة، وبالفعل سلمت العريضة للسيد عباس بابكر مفتش المركز، وألتزم، بعد إستلام العريضة والتى قرئت في الموكب بأنه يوافق على كل ما حوته العريضة من مطالب بتصفية كل الحسابات. لكن مع الأسف أن ذلك لم يحدث بل الذى حدث هوة

محاولة ترحيل القطن دون أن تتم المراجعة للحسابات السابقة للموسم الذى حدثت فيه المجزرة.

أعقب هذا الموقف المتزمت حملة إعتقالات واسعة شملت: ١/فرح عثمان شرفى – سكرتير إتحاد لجان عمال السكة حديد ٢/العبيد عامر محمد على – رئيس إتحاد المزارعين بالمنطقة ٣/الاستاذ كامل محجوب ٤/الاستاذ حسن الطاهر زورق – عضو البرلمان عن دائرة الخريجين وعضو الجبهة المعادية للإستعمار ٥/عبد الرحمن عبد الرحيم الوسيلة – سكرتير الجبهة المعادية للإستعمار ٧/السر أحمد البشير – السكرتير المساعد لإتحاد لجان عمال السكة حديد ٨/حامد شاكر حامد – سكرتير إتحاد العمال الفرعى ٩/عبد الله شلقامي – التاجر بكوستى، هذا وقد شكلت لنا محكمة عسكرية برئاسة القاضى مولانا عبد الرحمن النور وعضوية بعض العسكرين. هذه المحكمة شكلت لمحاكمة العبيد عامر وفرح عثمان شرفى وكامل محجوب، حكمت أيضاً على ضابط البوليس عثمان وأثنين من الجنود وبرأت العبيد وفرح وكامل محجوب.

الاخ حسن العبيد أرجو أن تكتب بتوسع – كما عهدناك – في قضية التحالف مع المزارعين وأثارها الملموسة على الصعيد العملى ونتائجها الإيجابية فى منطقة النيل الأبيض كما أرجو أن تبحث جيداً وتكتب عن تواطؤ مفتش المركز مع إدارة مشروع جودة آنذاك.

وأوكد أن ضابط البوليس والجنود الذين تحاكموا كانوا هم الحراس المسؤولين عن العنبر الذى أستشهد فيه قرابة المئتين من المزارعين وحشرهم فور إحضارهم في عنبر مقفل ينعدم فيه أي منفذ للهواء.

هيئة الدفاع عن المتهمين:

للحقيقة والتاريخ وحتى لا تضيع المواقف الرجولية المشرفة لرجال دافعوا عن مواطنين سودانيين وأصحاب قضية نذكر وبحسب ما تسعف الذاكرة بعد ما يقارب نصف قرن من الزمان نذكر أسماء السادة المحامون الأجلاء الذين هرعوا إلى كوستى للدفاع عن المعتقلين في تلك الأحداث وهم: ١/الأستاذ فوزى التوم المحامي ٢/الأستاذ أحمد عرابي ٣/الأستاذ أحمد سليمان ٤/الاستاذ عابدين إسماعيل ٥/الأستاذ ميرغنى النصري ٦/الاستاذ الرشيد نايل. وأرجوا أن يعذرنا كثيراً من لم نذكره في هذه المناسبة لطول المدة وضعف الذاكرة التى هدها الدهر.

نشير أيضاً إلى أن ضابط البوليس الذى قاد القوة التى ذهبت إلى جودة وأطلقت النار على المزارعين العزل يدعى على الفضلى وفى معيته الشريف المكي عساكر ناظر الخط، وعلى الفضلى هذا هو الذى أمر بضرب الرصاص ولم يكن معه قاضى ليأمر بذلك إن كان الموقف يستدعى تفريق المزارعين وهل كان الموقف بالفعل يستدعى الضرب في المليان؟

مدير مشروع جودة الزراعى في ذلك التاريخ هو طـــه ســـيد أحمد الذى حضر في صباح يوم الجمعة إلى مفتش المركـــز عبـــاس بابكر وطلب منه الإذن بترحيل القطن ووافقه على ذلك – رغم أنه أيد عريضة إتحاد المزارعين والتى طالب فيهـــا المزارعـــون بتـــصفية الحسابات السابقة أمام موكب المزارعين وكانت تلك هى بداية الشرارة هذا ما لزم توضيحة أخى حسن ما اسعفتنى الذاكرة مع خالص تحياتى للمحجوبين محجوب محمد صالح ومحجوب عثمان والكاتـــب النـــشط السر مكي ابو زيد.

مع فائق وخالص تقديرى

أخوك فرح عثمان شرفي

الخرطوم بحري – حي الصافية شمال

قائمة الشرف التي تحصلنا عليها
من الذين تضامنوا مع حركة المزارعين
وقدموا المحاكمات من مختلف المدن وتضم الآتية إسمائهم:

المدينة	الاسم:	المهنة:	العقوبة سجن:	التاريخ:
كوستى	١/ حسن الطاهر زروق	ممثل الجبهة المعادية للاستعمار	٦ شهور	٥٦/٢/٢٧
--	٢/ عبد الرحمن عبد الرحيم الوسيلة	سكرتير الجبهة المعادية للاستعمار	٦ شهور	--
--	٣/ محمد السيد سلام	عامل رئيس اتحاد العمال	٦ شهور	--
--	٤/ الطيب على موسى	عامل	٣ شهور	--
--	٥/ محمد محمد على	عامل	٤ شهور	--
--	٦/ السر احمد بشير	عامل – مساعد سكرتير اتحاد العمال الفرعي	٥ شهور	--
--	٧/ حامد شاكر حامد	عامل – سكرتير اتحاد العمال الفرعى	٦ شهور	--
--	٨/ عبد الله شلقامي	تاجر	٥ شهور	--
--	٩/ مكي عبد القادر مكي	معلم	٣ شهور	--
--	١٠/ محمد عبد القادر	عامل	٣ شهور	--
--	١١/ ادريس ابو بكر	عامل	شهر	--
--	١٢/ احمد ابراهيم	مزارع	شهر	--

قائمة ود مدني:

--	١/ محمد الامين	سكرتير الجبهة المعادية للاستعمار	٤ شهور	٥٦/٢/٢٨
مدنى	٢/ شيخ الامين محمد الامين	مزارع – رئيس اتحاد مزارعى الجزيرة	٤ شهور	٥٦/٢/٢٨ الجزيرة
--	٣/ عبد الرحمن الماحي	مزارع	٤ شهور	--
--	٤/ حيدر المهدى	عامل	٤ شهور	--
--	٥/ حسن عبد الغفار	موظف	٤ شهور	--
--	٦/ عبد الكريم عباس	موظف	شهرين	--
--	٧/ التجاني عوض الله	عامل	شهرين	--
--	٨/ خليفة خوجلى	موظف	٦ شهور	--
--	٩/ صديق حمد	محاسب	٥ شهور	--
--	١٠/ كمال على	موظف	شهرين	--
--	١١/ صديق على	موظف	شهرين	--

قائمة الحصاحيصا:

المدينة	الاسم:	المهنة:	العقوبة سجن:	التاريخ:
الحصاحيصا	١/ بيرم عبده	عامل	شهرين	٥٦/٣/٣
--	٢/ احمد المصطفى	عامل	شهرين	--
--	٣/ على حسين	عامل	شهرين	--
--	٤/ عامر محمد طه	عامل	شهرين	--

قائمة سنار:

المدينة	الاسم:	المهنة:	العقوبة سجن:	التاريخ:
--	١/ مهدى محمد الامين	مزارع	٤ شهور	٥٦/٢/٢٨
--	٢/ السر احمد عثمان	عامل	٣ شهور	--
--	٣/ ابراهيم مصطفى	عامل	شهرين	--

تابع قائمة سنار

المدينة	الاسم:	المهنة:	العقوبة سجن:	التاريخ:
--	٤/ محمد السيد	عامل	شهرين	--
--	٥/ عبد ه حسن	عامل	اسبوع	--
--	٦/ شيخ الخير الحاج احمد	مزارع رئيس اتحاد مزارعى	٣ شهور	--
--	٧/ السر عبد الرحمن	موظف	٣ شهور	--
--	٨/ محمد خير عبد الهادى	مزارع	شهر	--
--	٩/ البدرى صديق	مزارع	شهر	--
--	١٠/ محمد توم	عامل	شهر	--

١/ صلاح أحمد ابراهيم: عشرون دستة من البشر .

٢/ إبراهيم خير: الفلاتة والبرقو . . أجل ماتوا . .

عشرون دستة من البشر

صلاح أحمد إبراهيم

لو إنهم :

حزمة جرجير يعد كي يباع ..

لخدم الأفرنج في المدينة الكبيرة ..

ما سلخت بشرتهم أشعة الظهيرة

وبان فيها الإصفرار والذبول ..

بل وضعوا على نظافة الحصيرة ..

وبللت شفاههم رشاشة صغيرة . .

ورفعت على خدودهم رطوبة الأنداء والبهجة النضيرة .

لو إنهم :

فراخ تصنع من أوراكه الحساء . .

لنزلاء الفندق الكبير . .

لوضعوا في قفص لا يمنع الهواء . .

وقدم لهم الحب والماء . .

لو إنهم :

ما تركوا ظماء

ما تركوا يصادموا بعضهم لنفس الهواء . .

وهم يجرجرون فوق جثث الرفاق الخطوة العشواء

والعرق المنتن والصراخ والإعياء

ما تركوا جياع

ثلاثة تباع . .

في كتمة الأنفاس، في مرارة الأوجاع

لو إنهم:

لكنهم رعاع . .

من الرزيقات . .

من الحسينات . .

من المساليت . .

أجل رعاع . .

من الحثالات التى في القاع

من الذين إنغرست في قلوبهم مخالب الإقطاع . .

وثملت عيونهم مرواد الخداع . .

حتى إذا ناداهم حقهم المضاع . .

عند اللصوص سارقى الزراع . .

من حولوا لهاثهم ضياع . .

وسلطوا عليهم الضباع . .

وبادلوا أمالهم عداء . .

وسددوا ديونهم شقاء ..

وأستلموا مجهودهم قطناً وسلموه داء ..

ودفعوا الرشوة للحكام من عرق الزراع ..

حتى إذا نادى الجموع حقها المضاع ..

النار والرصاص والدخان ..

والشيخ والعمدة والمدير ..

والجيش والبوليس والقانون ..

والكاتب المأجور والوزير ..

جميعهم يحارب الزراع ..

جميعهم يحارب الأطفال والنساء ..

وينشر الموت في الأرجاء ..

ويفتح النار على الصدور ..

ويخنق الهتاف في الأعناق ..

ويسفك الدماء ..

ويفتح السجون حيث يحشد الإنسان كالقطيع . .

ويحكم العساكر الوحوش . .

فيحرمون الأدميين لقمة في الجوع . .

ويحرمون الأدميين جرعة من ماء . .

ويغلقون كل كوة تمرر الهواء . .

وفى الظلام . .

وفى الظلام بينما الحكام

في الرقص والسكر

وفى برود بين غانيات البيض ينعمون بالسمر . .

كان هناك عشرون دستة من البشر . .

قد حرمت حق الدفاع . . تموت في إختناق

وهى تنادي الإنتقام . . .

الفلاتة والبرقو .. أجل ماتوا

إبراهيم خير

ألم تسمع طبول الموت في الأرياف تندق ؟
ألم تلمح عيون الأطفال بالأوجاع تنبثق
أجل ماتوا . . كمثل الورد إذ يذبل . .
وأختنقوا . . .
ومثل السنبل العاري . .
هناك تدلت العنق . .
ومن أحداقهم قفزت معاني دونها العنق . .
ومثل حناجر سالت من الاجفان تنطلق . .
تطوف بعنبر الموتى . .

والأنفاس تحترق . .

وتسحب ظلها الميت في عمق . . وتنسحق . .

أجل ماتوا . .

وكان الليل يغمرني . . وكان الصمت والقلق . .

وأجفاني مدلات ويطبق هدبها نمق . .

وأفكاري كشلال من الأضواء يحترق . .

ومن أبعاده الثكلى نداء كان ينطلق . .

أجل ماتوا . . أجل ماتوا وأختنقوا

وقمت أدير مذياعي . . فيدفق صوته النزق

فلا تجزع . . فهم قوم . . من الفلاته والبرقو . .

ولا تحفل، فهم جاؤوا وقد ضلت بهم طرق . .

كأي قوافل سارت . .

على البيداء تحترق . .

إلى السودان إتجهت . .

وكان يسوقها (الرزق) . .

(وهو ثاروا على القانون يا قوم)

وهم حرقوا . . وهم سرقوا . .

وهم أفراد إن شئت . .

وهم أوباش إذ نطقوا . .

فثرت أمام مذياعي وقد ضاق بي الأفق . .

فأي جريمة طويت . .

ولم يخمد لها حق . .

فيا مذياع لم يسمع بها غرب ولا شرق . .

أجل ماتوا . .

وكان الليل يغمرني . .

وكان الصمت والقلق . .

وكان الشعر شلالاً . .

من الالهام يندفق . .

فهم ناس . . أجل ناس . .

ومثل الناس قد خلقوا .

ومن أيامهم سالت . .

عيون الأرض تشتق . .

ومن أجفانهم رويت . .

ومن تربتها نشق . .

وظل الفأس يلطمها . .

لينضح فوقها عرق .

فهل كانت لفالحها . . ؟

وهل كانت لمن عزقوا ؟

فهم بذروا أمانيها . .

ولكن غيرهم سرقوا . .

فيا مذياع لو تخجل . .

لأطبق صوتك الأزرق . .

أجل ماتوا . .

فهم قومي، وإن كانوا من الفلاته والبرقو . .

وإن قتلوا وإن شنقوا وأختنقوا . .

فإن الطين ينفجر ولن ينفى له حق . .

وهذى الأرض ما خلقت ليمشى فوقها الرق . .

ومن ضربات أفؤوسها جبين الفجر ينشق . .

سيبقى الغصن مزدهراً . .

ويندى فوقه العرق . .

وينمو صدرها الدامي . .

وبالأزهار يأتلق . .

أجل ماتوا . .

وسار البعث والتاريخ . .

والأطفال والحق . .

ومد الفجر أحضان . .

على الأشلاء ينطلق . .

أجل ماتوا . . أجل ماتوا . . وأختنقوا

الفهرست